روايات مصرية للجيب
سلة الروايات
20
Looloo
www.dvd4arab.com
مغامرات "س"
اللعنة
الجزء الثانى

مُقَدِّمَة

لست من هواة كتابة المقدمات للأجزاء التالية من مغامراتى مع السيد (س) ، فلست أجد فى نفسى القدرة على تلخيص أحداث الجزء الفائت بما يتناسب مع أحداث هذا الجزء الجديد ..

لذا ، وكقاعدة عامة ، أرجو لمن يريد أن يعرف ما حدث في الجزء الأول أن يعود لقراءة الجزء الأول ، أو أن يرضى باستنتاج أحداثه ، ويقلب هذه الصفحة على الفور ..

نسرين الجبالى

١ ـ سقوط (هواريس) ..

غابت عينا الملك (أحمس) تتـأملان مشـارف الحلم القديم ، نقلهما بين الجنود والخيول والعجلات الحربيـة وسنى المنفى فى الجنوب ، وأسوار (هواريس) الماثلة من بعيد ، ثم داهمته ذكرى والده وجده اللذين أفنيا زهـرة العمر فى أتون الحرب من أجل الحرية ؛ ليسلماه الراية من بعدهما ، فترقرقت العينان بالماء ..

ها هو ذا ـ أخيرًا ـ يقف على أبواب قلعة الرعاة فى حصار طال ، يحصى عليهم أنفاسهم ، ويمنع عنهم الماء والغذاء والراحة حتى يستسلموا ويتركوا لـه المدينـة صـاغرين ، غير أنهم ـ بروح القتال التى تجرى فـى عروقهم مجرى الدم ـ يصرون على البقاء حتى النفس الأخير وحتى الجندى الأخير ..

لتكُن حربًا إذن ، وليكن نفسًا أخيرًا بالفعل ..

ـ هل أحمل إلى الجنود أمرك بالهجوم يا مولاى ؟!

سأله قائد جيوشـه (محب) ، فتنهد وفكر : لـن يكـون الأمر أصعب من فتح (طيبة) بأى حال ، فقد أنهكت الحرب جيشـهم ولـم تبق إلا لمسات أخيرة تتطهـر بعدهـا أرض المملكة منهم تمامًا ..

تنهد مرة أخرى ، والتفت إلى (محب) ليقول :

ـ لاتدعهم ينتظرون ..

وكأن القائد (محب) كان ينتظر العبارة ، أو كأنـه كـان يخشى أن ينتظر لحظة أخرى يغير فيهـا الملك رأيـه ، فقد انطلق على الفور إلـى سرايا المقاتلين لينقل إليهم الأمر الملكى ، مخفيًا تألق عينيه المفعمتين بالشوق للخلاص !

وعـاد (أحمس) ينظر إلى الأسوار المنيعة الماثلة على البعد ، وقد زالت من عينيه كل النظرات الخالية من التحدى والإصرار ..

★ ★ ★

اندفع الحصان الأسود القوى راكضًا عبر بوابـة قلعـة (هواريس) الشـامخة ، جـارًا خلفه عجلـة حربيـة محـلاة بالذهب والأحجار الكريمـة المتوهجـة تحت أشعة الشمس ،

وجذب راكبها ـ الضخم الجثة المرتدى عباءة من السندس وغطاء رأس حديديًا يعلوه قرنان لغزال ميت ـ اللجام بقوة فتوقف الحصان فجأة، وقفز الراكب نافضًا عن عباءته غبار المعركة التى ما برحت ضوضاؤها تقترب فى اطراد من القلعة ..

ـ مولاى الملك (أبوفيس) !

هتف بها حاجب القصر وهو يدنو من الملك فى ذهول وفزع كأنما يستغيث به، فمنذ الفجر والأنباء تتوالى عن سقوط (هواريس) الذى بات وشيكًا فى قبضة ملوك (طيبة)، وأغلب الخدم والموظفين فى القصر قد لاذوا بالفرار خوفًا على أعناقهم ..

ـ أريد (نوب) .. أحضره لى الآن !

قالها (أبوفيس) فى تجهم وهو يغالب لهاثه، ومضى نحو القصر فى حين تابعه الحاجب المغلوب على أمره، فأين يمكن أن يعثر على الكاهن (نوب) فى مثل هذه الظروف ؟!

لكن حيرة الرجل لم تدم طويلا، فقد اندفع حصان آخر عبر بوابة القلعة فور اختفاء الملك بالداخل، وعلى متنه رجل قصير أصلع بلا حاجبين ..

ـ تطوعت بالمجىء يا مولاى عندما سمعت بما يجرى ..

قالها (نوب) وهو ينظر إلى الملك (أبوفيس) الواقف فى يأس يتأمل مقعد العرش الذهبى الضخم، وفى يده صولجان الحكم الذى يزول ..

ـ (هواريس) تسقط بالفعل يا (نوب) ..

قالها ونبراته تنطق بعدم التصديق، ثم استدار ليرى كاهنه الذى كلل الحداد ملامحه وهو يقول :

ـ الأيام دول يا مولاى ..

نظر (أبوفيس) إلى الصولجان، وغمغم مذهولا :

ـ أبعد كل هذه السنين تزول دولتنا ؟!

لم ينطق (نوب)، أراد أن يقول شيئًا يخفف عن مليكه وقع المأساة الدانية، لكنه لم يجد ما يقال، وتملك شيطان الغضب الملك فقذف بالصولجان إلى نهاية قاعة الحكم زاعقًا :

ـ .. أبعد كل هذه السنين ؟!

ثم استدار إلى كاهنه ليهتف به :

ـ .. ألم يخبرك (ست) بشىء ؟! هل تخلى عن مساندتنا أم ماذا ؟!

كان (نوب) يعلم أن هذه النقطة من الحوار قادمة لا محالة، ولعله لم يأت الآن إلا ليتحدث فيها، ولن يضيره

- والدولة تسقط - أن ينسج المزيد من الأكاذيب حول (ست) الذى لاوجود له إلا فى صور وتماثيل وعقول بدائية ..

- (ست) دائمًا فى الخدمة يا مولاى !

ونظر إلى الملك نظرة طويلة قبل أن يضيف برباطة جأش لاتتناسب مع موقفهم الدقيق :

- .. لكنه يطلب منا أن نحميه كما حمانا طوال السنين الماضية !

لاح عدم الفهم فى عينى (أبوفيس) ، فابتسم (نوب) فى دهاء وظفر ، وتألقت عيناه وهو يشرح للملك ما يعنيه !

ولم تمض دقائق حتى خرج الملك والكاهن إلى ساحة القصر ، وتابعتهما عينا الحاجب المذعور وهما يركبان عجلة الملك الحربية ، وانهال السوط على ظهر الحصان الذى صهل رافعًا ساقيه الأماميتين فى الهواء ، ثم انطلق بهما بعيدًا ..

بعيدًا نحو معبد (ست) عند الطرف الغربى من المدينة ؛ التى بدأ الفراعين فى استعادتها ..

★ ★ ★

اشتعلت النيران فى دائرة حول تمثال (ست) الساكن ، وانعكس الوهج فى عينى (نوب) الذى راقب ملكه الخاشع المقتنع بألوهية هذا الحجر الأصم الذى لايملك ضرًا أو نفعًا ، وشعر بالزهو يغمر أعطافه إذ تنطلى أكاذيبه بسهولة على هؤلاء الأغبياء ..

بدأ (نوب) يردد تعاويذ سحرية ، وهو يلوح بذراعيه فى حركات مسرحية ، حتى أضاءت دائرة حمراء فى سقف المعبد ، وانبعث منها عمود من الدخان الملون نحو التمثال ، فاتسعت عينا الملك (أبوفيس) انبهارًا ، فى حين ازداد (نوب) زهوًا بما يمكنه أن يصنعه ويسخره فى خدمة أغراضه الدنيئة ..

وبسرعة انتهى كل شىء كما بدأ ، تعاون الملك والكاهن على حمل التمثال ولفه فى قطعة من الكتان النارى ، ثم حملاه نحو العجلة الحربية الرابضة أمام بوابة المعبد العالية ، وانهال السوط من جديد على ظهر الحصان الأسود ، حاملاً (نوب) بعيدًا بالتمثال ، تتابعه هذه المرة عينا (أبوفيس) الدامعتين ؛ حتى اختفى خلف عمود حجرى ضخم ، فنقلهما (أبوفيس) إلى الناحية الأخرى من المعبد المشرفة على قلب المدينة ..

وانفطر قلبه فى وقفته أمام المعبد فوق التل ؛ عندما رأى جنود (طيبة) يقتحمون الطرقات والمنازل بعتادهم وخيولهم وعجلاتهم الحربية - التى تعلموا صنعها من الرعاة ! - ويأخذون جنوده أسرى ، ورآهم يقتحمون قصره ويقتلون حاجبه الوحيد الباقى ، فأيقن أن نهايته قد أصبحت قاب قوسين ..

أو أدنى !

★ ★ ★

- أمسكنا بالكاهن (نوب) يا مولاى ..

قالها (محب) مخاطبًا الملك (أحمس) الذى وقف فى شرود يتأمل مقعد العرش الذهبى الضخم ، وفى يده صولجان الحكم الذى زال ..

التفت إلى قائده ليرى آيات الفخر والظفر تكلل ملامحه وهو يتابع :

- .. لقد عاد إلى معبد (ست) مستقلاً عربة ملكه الأسير (أبوفيس) ، والغريب أنه لم يقاومنا ؛ بل سلَّم لنا نفسه بنفسه !

- وأين كان ؟!

- هذا ما يرفض الإفصاح عنه تمامًا يا مولاى !

- و(ست) ؟!

- ما زال مختفيًا ، فى الغالب أخذه وأخفاه فى مكان بعيد ..

- هل أخبرتموه باننا نعرف كل شىء ؟!

- أخبرناه وظل على موقفه العنيد يا مولاى ..

- جربتم معه كل الطرق ؟!

- لم نترك طريقةً إلا وجربناها ، ولا طريقًا إلا وسلكناه ..

- أدخلوه إلى هنا إذن ..

أشار (محب) إلى جندى يقف بجوار الباب ، وعلى الفور دلف إلى القاعة جنديان قويان يجرّان خلفهما حبلاً سميكًا يقيد يدى (نوب) وقدميه ؛ بما يسمح له أن يتحرك بشىء من الحرية !

برغم التهكم اللامبالى المطل من عينى (نوب) ، سأله (أحمس) فى صرامة :

- أين (ست) يا (نوب) ؟!

نظر إليه (نوب) ، وابتسم قائلاً :

ـ أنت إذن (أحمس) بن (كاموس) الذى سيخلد التاريخ اسمه مقترنًا بطرد الرعاة من أرض المملكة الفرعونية .. مرحى ، هأنذا أقف فى مواجهة التاريخ بنفسه !

بصرامة أشد عاد (أحمس) يسأله :

ـ أين (ست) يا (نوب) ؟!

بخبث قال (نوب) متهربًا :

ـ وكيف لى أن أعرف يا مولاى ؟! إن الآلهة لاتستشيرنى قبل الذهاب إلى وجهتها ..

هتف فيه (أحمس) فى غيظ :

ـ لاتعبث معى يا (نوب) .. أنت تعرف عم أتحدث ..

هز (نوب) كتفيه وقال متصنعًا البراءة :

ـ ظننتك تسألنى عن (ست) يا مولاى !

حاول (أحمس) التحلّى بالصبر وهو يقول من بين أسنانه :

ـ أحدثك عن حجر أصم يا (نوب) .. ذلك الحجر الذى أمددته بقوة شريرة سوداء من تلك القوى التى تجيدون

تسخيرها لخدمتكم يا معشر الكهنة .. والذى أخذته وأخفيته فى مكان ما لايعلمه سواك ، هل كلماتى واضحة يا (نوب) ؟!

هز (نوب) رأسه نفيًا وقال فى استفزاز :

ـ لا أعلم عم تتحدث يا مولاى !

صرخ فيه (أحمس) بعصبية :

ـ كف عن هذا يا (نوب) .. أنت تعلم أننا نعلم كل شىء ، ونحن نعلم أنك لاتجهل ما نتحدث عنه ، الآن أخبرنى : أين تمثال (ست) ؟!

نفس الهدوء والنظرة اللامبالية والبسمة الصفراء ..

ـ .. إن لم تتحدث سنلقى بك إلى تماسيح النيل وأفراس النهر الجائعة أيها الكاهن ..

قال (نوب) :

ـ الكاهن لايدين بالولاء إلا لمليكه ، ومليكى الوحيد هو (أبوفيس) يا .. يا مولاى !

سأله (محب) وهو يعقد حاجبيه :

ـ ألا تخشى الموت يا رجل ؟!

نظر إليه (نوب) وقال :

ـ لا أظنك تخشاه لو كنت مكانى أيها القائد الشجاع ..

ثم حول النظر إلى (أحمس) ليكمل :

ـ .. لكنى سأخبركم أين وضعت (ست) !!

هتف (أحمس) فى حماسة الشاب :

ـ لو فعلتها فسـ...

لكن (نوب) قاطعه :

ـ ليس طمعًا فى مكافأة ، وإنما لتعلموا أى خطر ينتظركم أنتم والقادمين من بعدكم ..

تجهم وجه (أحمس) ، وارتعدت العضلات فى وجه (محب) ، فى حين تابع (نوب) :

ـ .. إن (ست) سيقبع ها هنا فى (هواريس) ، تحت رمالها الواسعة ، فى انتظار يد تمتد إليه وتنتشله فى يوم ما ، سيبقى بينكم ليذكركم دومًا بنا ، وليكون شرًا محدقًا بكم فى كل لحظة تمضى بكم نحو الغد ، ولتفقدوا بوجودها الأمن والأمان إلى الأبد ..

انفعل (أحمس) وصرخ كالملسوع :

ـ تبًا لك وله ، تبت يداك ويداه .. احملوه إلى (طيبة) الآن وألقوه إلى تماسيح النيل ..

امتثل الجنديان وبدآ فى جرّه إلى الخارج ، وتبعهما الرجل بنفس الهدوء والنظرة اللامبالية والبسمة الصفراء ..

انتفض (أحمس) وقد هجره أى شعور بنشوة النصر ، فقال (محب) فى محاولة للتهوين :

ـ سنفتش كل ذراع من (هواريس) يا مولاى !

قال (أحمس) وهوما برح ينتفض :

ـ ليس هذا مجدٍ أيها القائد ، لقد دبروا المؤامرة بدهاء يليق بأتباع (ست) !

ـ ماذا نفعل إذن يا مولاى ؟!

وقف (أحمس) وتناول صولجان الحكم ، حدّق فيه للحظة ثم رفع عينيه وشخص بصلابة نحو المجهول ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لن ندعهم ينتصرون علينا بتعكير صفو انتصارنا عليهم ،

لنتصرف وكأن شيئًا لم يكن ، أقيموا الاحتفالات بالنصر فى كل أقاليم المملكة المصرية ، وأخفوا أى نبأ يتعلق بالتمثال عن العامة حتى لاتتطور الشائعات إلى أساطير ..

هز (محب) رأسه موافقًا ومعجبًا بالرأى السديد ، وغمغم (أحمس) بعدها معاودًا النظر إلى صولجان الحكم :

ـ .. أبرقوا إلى الكاهن (حابى) ؛ وأخبروه بأنى أطلب رؤيته فور عودتى إلى (طيبة) ..

★ ★ ★

انحنى (حابى) لتختفى ملامحه الهندسية أمام الملك (أحمس) فى بلاطه بـ (طيبة) :

ـ فى خدمة محرر البلاد ، البطل ، سليل المجد والسؤدد ، امتداد (حورس) فى ثورته على الظلم والطغيان ، وفى الحكم بالقسطاس والميزان ، (أحمس) بن (كاموس) ..

يكره (أحمس) كل هذه الألقاب الطويلة ، لكنها التقاليد التى تفرض عليه سماعها برغم أنفه ..

ـ أعتقد أنهم قد أخبروك بما طلبتك بشأنه يا (حابى) ..

قالها مختصرًا الطريق ، فهز (حابى) رأسه بالإيجاب ، واستقام مواجهًا الملك ليقول :

ـ تمثال الملعون (ست) المدفون برمال (هواريس) يا مولاى ..

ـ هو بعينه .. حاولنا المستحيل وأطلقنا الجنود ليبحثوا فى الرمال لكنهم لم يجدوا له أثرًا ..

ـ لعلهم محظوظون يا مولاى ..

قطب (أحمس) غير فاهم ، فأكمل (حابى) :

ـ .. لئلا تصيبهم اللعنة ..

ـ أى لعنة ؟

ـ هذه نقطة يصعب تفسيرها باختصار يا مولاى ، إنها تحتاج لسنوات من العلم والخبرة ..

سأله (أحمس) وقد نفد صبره :

ـ هل تستطيع مساعدتنا فى العثور عليه يا (حابى) ؟

أطرق الكاهن للحظة ، ثم هز رأسه نافيًا وأجاب :

ـ لا أظن يا مولاى ..

واستدرك عندما لمح خيبة الأمل تتسلل إلى ملامح الملك الشابة :

ـ .. لكنى أظن أننى أستطيع المساعدة فى تغلبيكم على شروره ..

ـ ماذا تعنى ؟

قال الكاهن وأطراف عباءته البيضاء تتطاير بفعل الهواء :

ـ أعنى أن نصنع التوازن يا مولاى ..

ثم إنه استطرد :

ـ .. ليس مانخشاه هو قطعة الحجر الأصم الساكنة كما تعلم جلالتك ، بل تلك القوة التى سخرها الملعون (نوب) لجلب كل الشرور إلينا ، والتوازن يكون بتسخير قوى بيضاء مسالمة تقاوم هذه الشرور ، وتقف كالسد فى وجه الخطر الزاحف كجيوش النمل المتوحش ، وهكذا يستعيد الكون توازنه الأبدى بين صفاء النور ووحشة الظلام ..

ازداد حاجبا (أحمس) انعقادًا وهويسأله :

ـ ماذا تقترح بالتحديد يا (حابى) ؟

قال (حابى) والهواء يزيد من تطاير ملابسه :

ـ لست أطلب يا مولاى إلا عددًا محدودًا من البنائين والفنانين والصناع المهرة ، وأن تهب لنا مكانًا فى (بحدت) (*) فى إحدى ثغرات (الجبل الأعظم) لنصنع ـ اعتمادًا على العلم ـ هذا التوازن الكونى المنشود ..

انعقد الحاجبان أكثر وأكثر :

ـ هلا فسرت الأمر أكثر وأكثر يا (حابى) ..

ابتسم (حابى) ، وأضاء وجهه الهندسى ببسمة بيضاء وهو يقول :

ـ رأس (حورس) .. يا مولاى !

★ ★ ★

(*) العاصمة الرئيسية للمعبود (حورس) فى مصر القديمة ، وهى بلدة (الكوم الأحمر) حاليًا ..

٢ ـ لغز جديد ..

الرياح تعوى كالذئاب ، والأمطار تضرب زجاج سيارة (هشام) الأمامى ..

أشك فى أنه يرى الشارع الذى نسير فيه ، والليل يحتوينا فى قلبه المظلم ، والطبيعة تواصل غضبها الكاسح الأعمى ..

ـ تصرف لطيف أن تأتى من (حلوان) خصيصًا لتصحبنى إلى المنزل ..

قلتها وأنا أبتسم فى غبطة ، تحب الفتاة دائمًا أن تشعر باهتمام خطيبها فى مواقف صغيرة كهذه ، ربما لا يلتفت هو نفسه لأهميتها ..

قال هازًا كتفيه :

ـ أعلم أن والدك لن يغادر مستشفاه ، ومن الصعب أن آمن عليك فى ظل مناخ رهيب كهذا ؛ لم نر شبيهًا لقسوته منذ سنين ..

هززت كتفى أنا الأخرى وقلت :

ـ لهذا أراه تصرفًا لطيفًا ..

ـ ثم إننا قد عبرنا أبواب منتصف الليل بكثير ..

ـ نعم ..

وأردفت ساهمة :

ـ .. واللغز ما زال ممعنًا فى غموضه برغم كل ما استجد ..

معى رسم فى حقيبتى سأعرضه على معيد المصريات الطموح غدًا ، هذا كل ما استجد بالنسبة لى فى القضية ؛ بالإضافة لما يقوله (هشام) :

ـ بالنسبة لنا لم يستجد الكثير ، تلقينا منذ قليل مكالمة هاتفية من رجل بسيط يبلغنا فيها بوجود قتيل داخل الفيلا التى يعمل غفيرًا لها ، والتى تقع على أطراف (حلوان) .. انتقلنا إلى هناك بسرعة لنعثر على رجل صريع فى سريره له نفس الصفات التى أمددتنا بها عن (جيرار لوريال) ، وهيئته مطابقة للصورة التى حصلنا عليها من السفارة .. فتشنا المكان فعثرنا على كوب عصير برتقال بجوار نافذة الطابق السفلى ، أعتقد أنه يحوى بقايا السم الذى قتله ، وفى القبو عثرنا على (شريف النجار) مقيدًا فى حالة إعياء شديد ..

بحث عنه فى جميع أركان المنزل ووجده مستلقيًا على سريره بعينين مفتوحتين ..

سألته فى اهتمام :

ـ وكيف اكتشف الغفير موت (جيرار) ؟

أجابنى مستعيدًا التفاصيل من عمق ذاكرته :

ـ دلف الغفير إلى الفيلا ليلا قبل أن ينام ليرى إن كان (الخواجة) ـ كما يقول ـ يحتاج شيئًا ، بحث عنه فى جميع أركان المنزل ووجده مستلقيًا على سريره بعينين مفتوحتين ، اقترب ولم يجد أدنى استجابة منه كما لم يشعر بأى أثر للحياة فى جسده ، فاتصل بنا والهلع يأكل نبرات صوته ..

قلت محللة الأمر من وجهة نظرى :

ـ لابد أن هذا الغفير يمثل كنزًا من المعلومات ..

مط (هشام) شفتيه وقال ممتعضًا :

ـ ليس كما تتصورين ، إنه من ذلك النوع المستكين من الناس ، ممن لايدسون أنوفهم فيما لايعنيهم ، ويؤثرون السلامة والبعد عن أى مصدر للمشاكل ، لابد أنه فكر ألف مرة قبل أن يبلغنا عن واقعة القتل هذه ..

وأردف :

ـ .. كل ما علمناه منه أن (جيرار) قد انتقل للإقامة فى الفيلا منذ يومين فقط ، وأن سيارة فضية قد أقلته إلى الفيلا بصحبة امرأة ورجلين ..

قطبت وأنا أغمغم :

ـ فضية ؟!

ـ أجل ، قال إنها زارته للمرة الأخيرة اليوم وبها نفس المرأة والرجلين ، وأنهم غادروا المكان مبكرًا حاملين جوالاً فى سيارتهم ..

سألته فى تردد :

ـ أهى ... ؟

فهم سؤالى قبل أن أكمله ، فهز رأسه بالإيجاب وأجابنى :

ـ أجل ، فى الغالب هى عين الـ (بولو) الفضية التى نبحث عنها ، آثار الإطارات المطبوعة فوق الوحل بحديقة الفيلا تشير إلى هذا النوع من السيارات بالتحديد ..

قلت فى غير فهم كأنى أفكر بصوت عال :

ـ فى الأمر امرأة إذن !

ـ أجل .. امرأة مجهولة تدخن سجائر ذات رائحة مميزة ، أتت مع (جيرار) منذ يومين وزارته اليوم وأمس ؛ ومعها رجلان ملامحهما مريبة كما قال الغفير ..

قلت مواصلة التفكير :

ـ هل تعتقد أنها من قتله ؟

قال مسلمًا :

ـ لاتدور الشبهات إلاحولها حتى هذه اللحظة على الأقل ..

ضيقت حدقتى وأنا أسأله فى تذاكٍ :

ـ والدكتور (جون كرستيان) ؟

ابتسم معجبًا بتذاكى ، ثم أجابنى :

ـ الطب الشرعى لم يقل كلمته الأخيرة بعد ، لكنى استنادًا إلى خبرتى إياها أستطيع الزعم بأن الاثنين ماتا بنفس النوع من السم ..

ـ هذه نقطة مهمة لايجب أن تسقط من الحسبان ..

- ومن ذا الذى أسقطها ؟ كل ما هنالك أننا نجهل الوجهة التى نوجه إليها أصابع الاتهام لجهلنا بموضع المتهم ..

- تقصد المتهمة ..

- لم أستخدم التذكير إلا للتعميم ..

غيرت الحديث إلى نقطة أهم :

- ماذا عن (شريف النجار) ؟

قال (هشام) :

- تصورنا أن هذا هو صيدنا الثمين ، لكننا وجدناه فى قمة الإعياء كما أسلفت ، نقلناه إلى مستشفى قريب وهناك تحدث وأخبرنا بكل ما يعرف ..

سألته وقد تحول اهتمامى إلى لهفة وفضول :

- ماذا الذى حدث له عندما كلّمنى هاتفيًا بالأمس ؟

أجاب (هشام) وهو يطور من لهجته بما يتوافق مع مسارات القصة التى يرويها :

- أخبرنا فى البداية عن معرفته بقصة (أسامة) ، وعن رغبة الأخير فى بيع التمثال برغم معارضة الجميع ، وتفكيره فى

أكثر من جهة تصلح لهذا الغرض مثل (غريب أبو الروس) أو د. (جون كرستيان) ، كما تحدث عن زيارة صحفية شابة له فى المنزل للتحقيق فى علاقته بهذا الأمر ، وعن محاولته التملص منها دون جدوى (قالها محاولاً إخفاء ضيقه وتحليت أنا بالكثير من التجاهل البرىء !) حتى قرر فى النهاية أن يحطم حائط الصمت والسلبية الذى يحجب عنه القدرة على الفعل الإيجابى ، فهبط إلى الشارع حائرًا ماذا يفعل ، كان يود التوجه إلينا على الفور عندما فطن إلى أن هناك سيارة (بولو) فضية تلاحقه فى إلحاح ، فاعتراه الرعب وقرر أن يتحدث إليك من أقرب هاتف وجده .. لكنه قبل أن يخبرك بأى شىء وجد يدًا تمتد وتضغط زر قطع الحرارة فى الهاتف ، وكان هذا آخر ما رآه قبل أن يفيق مقيدًا ومكممًا فى قبو الفيلا ..

قلت وأنا أشعر بخطأ ما :

- لكنه قال لى فى الهاتف إنه يعرف سر مقتل (أسامة) .. قال إنه يعرف كل شىء !

- محض استنتاجات لا تستند على أية أدلة ، لقد تصور أن للدكتور (جون) اليد العليا فى مصرع صديقه وقرر أن يريح صدره من هذا الشك بالتحدث إليك ..

قلت والشك يراودنى أنا :

ـ أو لعله يخفى ما يعرف !

قال فى غير اكتراث :

ـ يظل هذا الاحتمال واردًا على الدوام ..

قلت فى حماسة :

ـ أريد أن أراه ..

ـ الزيارات لها أوقات محددة فى المستشفيات المحترمـة ، أظنك تعلمين هذا فى ظل وضعك كابنة لطبيب ..

لو كانت الزيارة مسموحة ، فلن يقبل (هشام) بتاتًا بـأن أزور شخصًا بعد منتصف الليل حتى لو كان نزيلاً فـى مستشفى ، أنا نفسى أستسخف الفكرة برغم جنونى الأكيد !

ـ أنتِ محق ..

قلتها ولكنى لم أسترح إلا عندما أردفت :

ـ .. ولكن ماذا قال (شـريف) عن المـرأة المزعومـة ؟ هل رآها ورجليها ؟!

ـ أجل ، ورأى التمثال أيضًا ، فقد كان ملازمًا له فى القبو ..

هاجت العواصف وماجت الأمطار خارج السيارة ، وهى تدلف إلى شارعنا المهجور بفعل الظلام وحاجة البشر إلى النوم ، بينما (هشام) يتابع وأنا ألهث انفعالاً :

ـ .. لقد أفـاق عندمـا نزلت هـى إلـى القبـو بنفسـها لتأخذ التمثال ، مما يؤكد أنه الآن معها ..

التمعت عيناى ـ مثل القـائد (نـور الدين) فـى (ملف المستقبل) ـ وأنا أقول :

ـ هذه المرأة هى مفتاح اللغز ..

ـ الغريب أنها تركته حيًا ..

ـ تقصد (شريف) ؟

ـ ومن يمكن أن أعنى سواه ؟

وأردف متعجبًا :

ـ .. المنطق يقضى بوجوب القضاء على الجميع ، فوجوده على قيد الحياة يعنى قرينة قوية ضدها !

ـ لا تنس أنها تركت الغفير أيضًا ..

قال (هشام) والسيارة تقترب من البناية التى أقطنها :

ـ لقد حصلنا منهما ـ (شريف) والغفير ـ على وصف تقريبى غير دقيق للمرأة التى تدخن السجائر ذات الرائحة المنعنعة ، رشيقة جميلة مصرية الملامح كستنائية الشعر ذات شامة فوق حاجبها الأيسر ، هذا كل ما هنا ...

قاطعت (هشام) بهتاف أعلى من الرعد المدوى فى السماء المظلمة :

ـ إنها هى ..

★ ★ ★

... وأمام السكرتيرة الحسناء ذات الشامة الجميلة فوق الحاجب الأيسر وقفنا ، ملامحها مصرية لكن (تامر) بدأها متحدثًا بالفرنسية ...

★ ★ ★

ـ هى من ؟!

سألنى (هشام) عاقدًا حاجبيه ، فأجبته على الفور :

ـ السكرتيرة .. سكرتيرة الدكتور (جون) بالمركز الثقافى الفرنسى !

غمغم قائلا كأنه يتذكر ويقارن :

ـ أنت محقة ..

وأوقف السيارة أمام البناية ، ثم أخرج هاتفه المحمول وضغط أزراره بسرعة ..

ـ .. آلو .. أجل يا (عصام) ، هناك جديد بالطبع .. المرأة المزعومة ذات السيجارة ، هناك شكوك تدور حول هويتها ، فربما كانت سكرتـ .. ماذا ؟! ماذا تقول ؟! متى حدث ذلك ؟ ولماذا لم تخبرونى ؟! أين المكان بالتحديد ؟! نعم .. نعم .. أنا قادم إليكم فى الحال ..

وأغلق الهاتف على الفور ثم نظر إلى نظرة طويلة جعلتنى أسأله :

ـ ماذا هناك ؟

أجابنى وهو يجاهد للتحكم فى أعصابه :

ـ لقد عثروا عليها ..

وقبل أن أسأله تابع :

ـ .. عثروا على امرأة النعناع !

★ ★ ★

توقفت الأمطار لتستريح ، فوجدتها الرياح والأتربة فرصة للانفراد بالساحة ، خاصة فى تلك المنطقة البعيدة على جانب الطريق السريع المهجور ..

لم أستطع أن أرى كفى فى الظلام والتراب ، ولم تفلح أضواء سيارات الشرطة القوية المتحركة والمتعددة الألوان فى تحسين الصورة ، لذا فقد ظللت ملتصقة بظل (هشام) الذى وقف يستمع إلى التفاصيل من زميله (عصام) بجوار الـ (بولو) الفضية المنكوبة ..

ـ (ماريان عزيز) ..

وأشار إلى الجثة المغطاة قريبًا منا ، بجوار جثتين أخريين متابعًا :

ـ .. هى سكرتيرة الدكتور (جون) بالفعل ، قتلت رميًا برصاصة فى العنق من مسدس فئة الست طلقات ، ومعها قتيلان آخران أحدهما وجد خارج السيارة مصابًا بطلقة فى الرأس والثانى أمام عجلة القيادة مصابًا بطلقة فى الصدر اخترقت القلب مباشرة ، والرصاصات جميعها من نفس النوع ..

سأله (هشام) مداريًا عينيه من التراب المعلق فى الهواء السريع :

ـ هل تم التعرف على هوية الرجلين ؟

ـ ليس بعد ، لكنهما ليسا من المسجلين لدينا فى قضايا سابقة على الأقل ..

وتابع (عصام) مستطردًا :

ـ .. عثرنا فى حقيبة (ماريان) على عدد من القطّارات الحاوية لسم (السيانيد) المركز ..

قال (هشام) باسمًا :

السم الذى تم به قتل (جون) و(جيرار) !

صحّح له (عصام) :

ـ الذى نشك فى أنه كذلك يا عزيزى !

ـ يمكنك الاعتماد على خبرتى !

ثم إن (هشام) تساءل :

ـ .. كيف تم اكتشاف الجريمة ؟

ـ بلاغ من مجهول ..

أثار الجواب حفيظتى ، لكنى قررت ألا أتكلم إلا عندما أقول شيئًا ذا بال ، وعاد (هشام) يتساءل وهو يفرك عينيه بقبضتيه :

ـ ماذا عن القاتل ؟!

قال (عصام) بخيبة أمل :

ـ لايوجد آثار نتتبعها ، لقد محت الأمطار والرياح كل آثار أقدام أو سيارات أو بصمات محتملة ..

سألت ـ وأنا أتكلم أخيرًا كأننى سآتى بالذئب من ذيله :

ـ ماذا عن التمثال ؟!

نظر إلى (عصام) وأجابنى :

ـ لاوجود له بالطبع ، لكن الحقيبة الخلفية المفتوحة للسيارة تشى بأنه كان موجودًا ، وأن القتل تم بغرض الاستيلاء عليه ..

قلت وأنا أصرّ على البحث عن ذيل الذئب :

ـ لدينا الآن عدد لايستهان به من القتلى فى سبيل الحصول على هذا التمثال ..

قال (هشام) وهو يضرب كفيه ساخرًا :

ـ هذا يثبت نظرية لعنة الفراعنة إلى حد لابأس به أبدًا ..

ابتسم (عصام) مجاملاً له ، فى حين قلت أنا وقد عثرت على الذيل التائه أخيرًا :

ـ لو فكرنا فى إعادة بناء الأحداث فربما يقودنا هذا إلى خيط ما ، إن التصور البسيط للأمر يقضى بأن (أسامة) قد هاتف (غريب أبوالروس) والدكتور (جون) بغرض بيع التمثال لأى منهما ، وقد قرر أن يذهب للثانى ويتجاهل الأول لغرض فى نفسه ، ربما هى عقدة الخواجة حتى فى التعاملات غير المشروعة ، لكن هذا ماحدث .. لابد أن الدكتور الفرنسى لم يكن يرغب فى شراء التمثال لنفسه ، وإنما لـ (جيرار) المغامر الذى يهوى جمع الآثار الفرعونية مثلاً .. وهكذا تمت الأحداث وفق ما يلى : (ماريان) هى الوسيط بين الدكتور و (أسامة) ، تذهب بسيارتها لإحضار الثانى من منزل خطيبته وتقوده إلى الفندق الشهير المطل على النيل حيث كان (جيرار) موجودًا فى الوقت نفسه داخل الفندق لسبب ما ، هناك يلقى (أسامة) مصرعه مقتولاً بيد أحدهما ، ويصل التمثال إلى يد الدكتور (جون) ـ ربما عن طريق سكرتيرته نفسها ـ وتبقى الصفقة معلقة بينه وبين (جيرار) حتى تقتل (ماريان) رئيسها فى العمل قبل سفره ،

وتبرم الصفقة بنفسها مع (جيرار) ربما طمعًا فى الكسب، كما تشرع فى خطف (شريف) لإخفاء مايعرفه، لكنها تعود فتقتل (جيرار) وتقود التمثال إلى هنا حتى تلقى مصرعها ..

تركانى أتحدث حتى انتهيت من أطروحتى المعقدة، وقال (عصام) فى النهاية مجاملا خطيبة صديقه :

ـ تحليل جيد ..

تعمد (هشام) التحقير من شأن إنجازى فقال :

ـ لكنه مجرد تحصيل حاصل، لايضيف أى جديد، بل يزيد الأمور تعقيدًا وغموضًا ..

تجاهلت قوله بصبر الحليم، وقلت فى لهجة عملية :

ـ السؤال الآن هو من قتل (ماريان) ومساعديها ؟

قال (هشام) عاقدًا ساعديه أمام صدره، وقد بدأت الريح تهدأ قليلا :

ـ هذا لغز جديد ..

ـ بهذه الطريقة لن يكون آخر الألغاز ..

قلتها وأنا أفعل مثله، فسألنى مستفهمًا :

ـ ماذا تعنين ؟

قلت ببساطة :

ـ أعنى أن كل من يحصل على التمثال يلقى مصرعه ولو بعد حين، هناك دومًا من يقتل الذى قتل مسبقًا للحصول على التمثال، وهكذا تظل الدائرة دائرة دون أن يلوح أى أمل فى أن تنغلق ..

قال (عصام) مدليًا بدلوه :

ـ الدوافع فى كل هذه الجرائم واهية جدًا أيضًا ..

ـ قل غائبة .. هناك شىء غير طبيعى فى كل ما يحدث أيها السيدان ..

عاد (هشام) يقول متهكمًا :

ـ شىء مثل لعنة مثلاً ؟

قلت :

ـ بل ربما أدهى، وألعن ..

وران الصمت بيننا مع هدوء الريح، والعودة إلى السكون .. والتفكير العميق ..

★ ★ ★

٣ ـ برديات قديمة ..

ـ أكاد لا أصدق ، مذبحة .. ومن أجل ماذا ؟! من أجل قطعة حجرية بلهاء ؟!

هتف بها (عبده مرزوق) داخل الشقة القديمة ذات الأثاث الرث والطلاء الكالح فوق الجدران مع العناكب المعششة فى أغلب الزوايا ، مشيرًا إلى التمثال الأحمر المخيف المنتصب فى وسط الصالة ، والانفعال يبلغ به حد الجنون ..

ـ اخفض صوتك يا رجل ، أنت لاتريد أن يبلغ صوتك نهاية الشارع !

قالها (غريب أبو الروس) فى غلظة وهو ينقل بصره بين (عبده) الذى احمرت وجنتاه حنقًا ، و (زيكو حركات) شريكهما الثالث الذى أخذ يشعل الفحم داخل موقد صغير وكأن لاشىء يعنيه فى كل ما حدث ، وما يحدث ، وربما ما سوف يحدث أيضًا ..

صاح (عبده) ثائرًا وقد أحنقه قول (غريب) أكثر :

ـ لسنا الآن مجرد لصوص أو قطاع طرق ، نحن الآن قتلة يا (أبو الروس) .. هل تعلم ما معنى قتلة ؟ هل تعلم ما يعنيه حبل المشنقة ؟

فى حدة بالغة قال (غريب) ؛ محافظًا على انخفاض نبرة صوته قدر استطاعته :

ـ قلت لك اهدأ .. ما حدث قد حدث وانتهى ، ولا يمكننا أن نبدل منه شيئًا مهما صرخنا ..

عاد (عبده) يصيح فى هياج :

ـ وفيم كل هذه الدماء ؟ ما الداعى لها وهم لم يتعرضوا لنا بأى نوع من الأذى ؟ هل نسيت أن هذا هو غرضنا الأصلى من حمل السلاح ؟ الدفاع عن النفس فى حالة التعرض للخطر ؟ هل نسيت ؟!

غمغم (غريب) فى عناد :

ـ لم نترك وراءنا ما يمكن أن يدل علينا ، حتى آثار الـ (بيجو) فوق الرمال قمنا بإخفائها وتولت الأمطار إخفاء الباقى ..

واصل (عبده) انفجاره بدوافع الغيظ والخوف والندم وخلافه :

ـ وما أدراك بأساليب الشرطة الجهنمية ؟ ألن يشكوا فينا عندما يكتشفون ما فعلناه بمخبر المراقبة ؟ هل تشك فى قدرتهم على الوصول إلينا ولو كنا فى بطن الحوت ؟!

كظم (غريب) غيظه ، وقال محاولاً الحفاظ على ما بقى من هدوء أعصابه :

ـ كف عن الجبن ، لن يستطيعوا الوصول إلينا لو تركنا البلاد كلها وغادرنا !

وجم (عبده) للحظة ذاهلاً ، ونظر إلى (زيكو) المنهمك فى رص قطع الفحم المشتعل فوق النارجيلة بحرص واحتراف كأنه يستجديه الإفاقة ولو لثوان ، حتى واتته القدرة على أن يغمغم قائلاً ـ بعد أن فقد الأمل فى (زيكو) :

ـ هل جننت يا (غريب) ؟ ماذا تقول ؟!

تركه (غريب) واتجه إلى التمثال الماثل فى المنتصف ، حدق بنهم فى عينيه الحمراوين ، وترك رغبته فى لمسه تقوده ، هامسًا فى هيام :

ـ انظر لما حصلنا عليه يا (عبده) .. انظر لهذا الأثر النادر الذى يمكنه انتشالنا من قاع الحاجة إلى قمة الثراء والأريحية ..

انظر ، وستشعر بارتياح عجيب لم تشعره فى حياتك من قبل ..

هتف (عبده) فى استنكار :

ـ سنين طويلة ونحن نعمل فى هذا المجال يا (أبو الروس) ، رأينا خلالها قطع أثمن وأكبر وأفخم من هذا التمثال ، وكنا نقبل بعمولتنا من البائع والشارى .. سنين طويلة لم نرق خلالها قطرة واحدة من الدم .. والآن تحدثنى عن مغادرة البلاد ؟!

نظر إليه (غريب) نظرة نارية وكشر عن أسنانه مزمجرًا كغول أسطورى :

ـ سنين من الفاقة لن تعود .. لن نظل صغارًا إلى الأبد يا صاح ، فقد آن الأوان لنكبر ، وليكون الربح صافيًا لنا .. لقمة طرية لا يقاسمنا فيها أحد مهما كان !

عاد الوجوم يكسو ملامح (عبده) ، وهو يتفرس فى ملامح (غريب) كأنه يراه لأول مرة :

ـ ما بك يا (أبو الروس) ؟!

عاد (غريب) يحدق فى عينى التمثال ، وهو يغمغم بلهجته الحادة الخافتة :

ـ ما بى ؟ إننى لم أكن أفضل حالاً مما أنا عليه الآن ..

قال (عبده) :

ـ نظراتك !

ـ ما بها ؟

قالها (غريب) وهو يتلمس نعومة البازلت البارد بيديه ، فازدرد (عبده) لعابه بصعوبة وهو يقول مرتجفًا :

ـ تخيفنى ، نظراتك مخيفة إلى أقصى حد يا رجل !

لم يرد (غريب) ، وتوهجت عيناه بانعكاس التمثال داخلهما ، ومع تلك البسمة اللزجة التى علت شفتيه ، أصبح شبيهًا بشيطان بشرى يتحسس شيطانًا من حجر ..

دق قلب (عبده مرزوق) بعنف ، والتفت إلى (زيكو حركات) الذى انهمك فى سحب الأنفاس من قصبة النارجيلة ، فى حين تشربت زرقة السماء فى الخارج ببشائر الفجر البنفسجية الهادئة ..

★ ★ ★

لم يكن ذهابى إلى قسم (التاريخ) بكلية (الآداب) وسؤالى عن (سيف الدين هلال) اختيارًا موفقًا ، فقد أخبرونى هناك بأنه لم يحضر ، وأنه يجىء فى أيام معينة من الأسبوع ـ حسبما يحوى جدوله من محاضرات أو سكاشن ـ ليس من بينها اليوم لسوء حظى ، ولسوء حظى أيضًا لم يأت (تامر فوزى) إلى الكلية حتى أسأله عنه ـ بصفته صديقه ـ ولهذا لم يكن أمامى الكثير من الخيارات الباقية ..

أخرجت أجندة الهواتف الصغيرة التى أحتفظ بها دائمًا للطوارئ ، وقررت التضحية والاتصال بـ (سيف) من هاتفى المحمول الذى لم يبق به الكثير من الرصيد ، تعيش الصحافة !

ـ آلو ..

ـ الأستاذ (سيف الدين هلال) ؟!

ـ أنا هو ، من معى ؟!

ـ (نسرين الجبالى) ..

استغرق الأمر لحظة استدعى فيها اسمى من مخزن ذاكرته ، وسمعته يصيح فى ترحيب :

ـ الآنسة (نسرين) .. مرحبًا بك ..

ـ ذهبت إلى الكلية ولم أجدك اليوم ..

أقول هذه الجمل المتسمة بالغباء بين الحين والآخر عندما لاتمدنى قريحتى بأفضل منها ، إنه يعلم بالطبع أنه ليس فى الكلية ولا ينتظر منى مكالمة هاتفية حتى يتيقن من هذا !

ـ بالفعل ، أنا لست فى جدول اليوم ..

قررت أن أختصر طريق المقدمات الطويل غير المفيد :

ـ لقد توصلت إلى نتيجة إيجابية بشأن ماتحدثنا به أمس ..

هتف فى سعادة ولهفة :

ـ عثرتِ على التمثال ؟

قلت حتى لا أمده بالأمل الكبير :

ـ صورة منه .. صورة ينقصها الكثير من الوضوح ..

تعاظمت لهفته وتفاقمت سعادته إذ قال :

ـ هذا يفى بالغرض حقًا ، أحتاج لرؤيتها الآن ..

ـ لنتقابل إذن فى أى مكان ..

وبالفعل لم تمض ساعة من الزمن حتى كنا نجلس متقابلين فى (كازينو) يطل على النيل ، السماء مشمسة وإن تناثرت فيها قطع السحاب الأبيض ، والطقس معتدل وإن لاحت فى الأفق البعيد نذر عاصفة جديدة محملة بالأمطار والأتربة ..

لايخبر أحد (هشام) بهذا الأمر حتى لاتكون نهايتى على يديه ..

ـ ما هذا ؟

تساءل (سيف) مقطبًا وهو يحدق فى البقعة الزرقاء التى تلتهم الصفحة كلها تقريبًا ، فشرحت له ماحدث متممة بقولى :

ـ .. وكأن اللعنة تأبى علينا أن نرى (ست) المزعوم هذا رأى العين ..

قال وهو لايزال يحدق فى الصفحة :

- ربما كان سوء حظ ليس إلاً ..

- أو سلسلة من الصدف ، من يدرى ؟

انشرح وجهه وهو يقول :

- أهم ما فى الأمر أن الكتابات واضحة على القاعدة ..

ثم إنه ضيق حدقتيه وشرع يقرأ فى بطء وتركيز :

- .. معـ .. بو .. د الـ .. رعـ .. د و.. الصـ .. حرا ..
ء .. سـ .. ت ـ يـ .. عل .. سـ .. وتـ .. خ ..

هززت رأسى مؤمّنة على ما يقول ، ومددت يدى نحوه بوريقة صغيرة قائلة :

- إنها نفس الترجمة التى خطها (أسامة موسى) فى مفكرته مع وصف تفصيلى للتمثال قبل أن يموت ، هاك نسخة مما كتب ..

تناول الوريقة منى مبتسمًا فى امتنان صادق ، وقال :

- بمقارنة الرموز الهيروغليفية المقدسة برموز اللغة الغريبة يمكننا أن نفك شفرة الكتابات المطلسمة الباقية فى برديات (حابى) ..

هززت كتفى وقلت :

- حتى هذه اللحظة لا أعرف من يكون (حابى) الذى سميت البرديات باسمه .. أليس هذا هو المسمى الفرعونى لنهر (النيل) ؟

- بلى ..

- هل كان أحد كهنة الهكسوس ؟

- بل على النقيض ، كان كاهنًا من كهنة (حورس) كما تقول بعض المصادر التى نستقى منها تاريخ الدولة الحديثة ، وكان يقيم فى إقليم (بحدت) التى تقع مكانها قرية جنوبية تسمى الآن (الكوم الأحمر) ، فقد كان هذا الإقليم أيامها مركزًا لـ (حورس) ..

سألت وقد أثار الأمر كل اهتمامى وبعض دهشتى :

- لماذا استعمل إذن لغة كهنة (ست) ؛ لو صحت نظريتك فى هذا الصدد ؟

قال معاودًا التحديق فى الرسم المشوه بالحبر الأزرق :

- سنعلم عندما نترجم ما فى البرديات ، لكنى أعتقد -وهى نظرية بلا أسانيد - أنها ربما كانت تعاويذ ما من

شأنها درء خطر (ست) كما قال بالهيروغليفية فى الجزء الذى أسمعتك إياه بالأمس ، ولهذا كتبت بنفس اللغة الخاصة بكهنته ..

لو سمع (هشام) هذا الكلام لاتهمنى بالجنون واتهم (سيف) بالهرطقة وربما أبلغ عنا مستشفى الأمراض العقلية ، وربما يكون فى موقفه بعض الحق ..

سألت فى النهاية :

- ماذا ستفعل الان ؟

قال وهو لايزال يحدق فى الرموز الغريبة بإمعان :

- لابد أن أرى برديات (حابى) ..

- ألا تملك صورًا فوتوغرافية لها ؟

- بلى ، لكن الترجمة يجب أن تكون من المصدر الأصلى ..

- أين ؟

- بالمتحف المصرى فى ميدان (التحرير) ..

ورفع عينيه إلى مبتسمًا ؛ وسائلا :

- .. ما رأيك فى الذهاب إلى هناك الآن ؟

الوقت مبكر ، واليوم غير مهم دراسيًا ، والفضول الصحفى يستبد بى ، و ...

- لا مانع ..

قلتها مكتفية بنصف الحقيقة ، فالحقيقة كلها كانت تقتضى أن أقول :

بالطبع سأذهب ، هل هذا سؤال ؟

★ ★ ★

صافحنا الأستاذ (بهاء مطر) مدير المتحف المصرى فى حرارة ، ورحب بنا داخل مكتبه أيما ترحيب ، خاصة بعد أن عرف أن (سيف) باحث أثرى ومعيد جامعى ، وأننى الصحفية التى تكتب مغامراتها مع السيد (س) فى جريدة (الأربعاء) ..

معجب آخر من جيل يسبقنى بكثير ، إن هذا يبعث على السعادة حقًا ..

نظرت إلى شعره الأشيب ووجهه المتغضن وملابسه الأنيقة ، وهو يقول :

- سيكون لك مستقبل باهر فى الصحافة يا فتاة ..

شكرته باسمة وقلت :

ـ شهادتك هذه وسام أضعه على صدرى يا سيدى ..

نظر بعدها إلى (سيف) وقال :

ـ ماذا تشربان ؟

رفع (سيف) راحته وهو يقول فى حرج :

ـ لاشئ يا سيدى ، أفضل أن نستغل الوقت فى العمل ..

شبك الأستاذ (بهاء) أصابعه وتساءل :

ـ كيف يمكننى أن أساعدكما ؟

ـ برديات (حابى) يا سيدى ..

قالها (سيف) على الفور وبصراحة مباشرة ، مما جعل الأستاذ (بهاء) يفاجأ قليلاً ، قبل أن يسألنا عن ماهية الأمر ، فرويت له ـ فى عجالة ـ كل شىء ..

★ ★ ★

بين الزوار المهتمين والسياح المنبهرين وطلاب المدارس الآتين فى رحلات سرنا ـ أنا والأستاذ (بهاء) و (سيف) ـ

فى أروقة المتحف الواسعة ، شعرت بمزيج من الفخر والفرحة والحرج ، الفخر لأن أجدادى قد صنعوا كل هذه التحف الفنية فى وقت كان البشر فيه يحبون فى مهد الحضارة ، والفرحة لأن الظروف قد أتت بى إلى هنا أخيرًا ، والحرج لأننى لم أكلف نفسى من قبل الحضور إلى هذا المكان برغم أنه لايبعد عن منزلى كثيرًا ، فى حين أن الجماهير يتوافدون عليه من شتى أنحاء العالم الواسع ..

هذه مأساة دوامة الحياة اليومية ، أعرف أصدقاء لى يسكنون فى (الجيزة) ولم يروا الأهرامات الثلاثة على الطبيعة حتى الآن ، وأعرف آخرين يسكنون فى (الأقصر) ولم يروا (وادى الملوك) ، والبعض يسكنون (الإسكندرية) ولم يدلفوا من قبل إلى داخل قلعة (قايتباى) .. ولعمرى فهو شىء يبعث على الحزن العميق ..

قال الأستاذ (بهاء) وهو يقود المسيرة نحو وجهة معينة :

ـ نحن نحتفظ بهذه البرديات فى مكتبة المخطوطات الثمينة ، لكننا نتيح الاطلاع عليها للمتخصصين من أمثالك يا سيد (سيف) ..

قالٍ (سيف) وهو يغذ السير خلفه :

ـ سياسة حكيمة يا سيدى ..

قال الأستاذ (بهاء) وهو ينعطف بنا فى ممر متسع :

ـ لن نخرجها للعرض العام حتى تتكشف أسـرارها ، ونتبين مقدار أهميتها ..

قلت وأنا أجول بصرى فى المعروضات على جانبى الممر :

ـ ربما تفلح محاولتنا هذه يا سيدى ..

فى أبوة قال الأستاذ (بهاء) :

ـ لو أفلحت ، فقد ضمنت لاسمك مكانــة متميزة فـى التاريخ الثرى يا سيد (سيف) ..

ـ لست أسعى للشهرة بقدر ما أسعى لإماطة اللثام عن اللغز يا أستاذ (بهاء) ..

قالها (سيف) فى حين توقفت أنـا أمـام تمثـال معيـن خطف بصرى ، فتوقفا بدورهما وتأملاه معى ..

ـ أهذا هو (حورس) ؟!

رأس صقر ذهبيـة : المنقـار الصغير المعقوف ، والعينان الدائريتان المصنوعتان من الزجاج الأسود اللامع ، والقمـة المسطحة التى يعلوها تاج طويل تتكون مقدمتـه مـن حيـة (الكوبرا) الفرعونية الشهيرة ، وخلفها ريشتان متجاورتان طويلتان جدًّا ..

تطوع الأستاذ (بهاء) بالإجابة عن سؤالى الذاهل :

ـ هو بعينه ..

وأكمل (سيف) مقربًا وجهه بشدة من الواجهة الزجاجيـة التى تفصل الرأس عنا :

ـ لقد عثر على هذا الـرأس فـى (الكوم الأحمر) مـع برديات (حابى) وتماثيل أخرى ، أليس كذلك ؟!

قال الأستاذ (بهاء) باسمًا :

ـ فعلاً ، يبدو أنك قد درست الموضوع بتمعن يـا سيد (سيف) ..

اعتدل (سيف) ، وقال مبادلاً بسمته بأخرى :

ـ أعتبر هذا مشروع عمرى يا سيدى !

فى مكتبة المخطوطات الثمينة الخالية إلاَّ منا وموظف رث الهيئة حمل لنا الأستاذ (بهاء) دلوًا من خزانة خاصة مغلقة بالأقفال، وبداخله لفافات عديدة متراصة فى عناية، أخرج إحداها وفردها أمامنا على طاولة من طاولات البحث قائلاً:

ـ ها هى ذى البرديات ..

نظرت إلى الطلاسم والرموز المدونة فوقها، ووجدت نفسى أغمغم كأننى أفهم كل شىء:

ـ يا للروعة !

أما (سيف) فلم ينطق، رأيته يخرج عدسة مكبرة من حقيبته ويميل بجذعه نحو المخطوطة العتيقة، كأنه بدأ العمل من اللحظة بالفعل ..

أحب هذا النوع من البشر المتفانين فى عشق عملهم حتى التداعى، فعلى أكتاف هؤلاء تنهض الأمم وتتقدم ..

أشار (سيف) أخيرًا بعد دهر من الصمت والترقب:

ـ من هنا يبدأ الجزء غير المفهوم ..

كأن ماسبق هو الجزء المفهوم !

أما (سيف) فلم ينطق، رأيته يخرج عدسة مكبرة من حقيبته ويميل بجذعه نحو المخطوطة العتيقة ..

- هل ستستطيع أن تترجمه حقًا ؟!

سأله الأستاذ (بهاء) ، فأخرج (سيف) الرسم المشوه من حقيبته وقال :

- الرموز متطابقة ، لن تكون عملية سهلة لكنها ليست مستحيلة فى الوقت نفسه ..

سألت أنا مراقبة اللفافات الكثيرة داخل الدلو :

- متى يمكنك أن تفرغ من عملية كهذه ؟!

هز (سيف) كتفيه ، ونظر إلى نفس النقطة قائلا :

- تقدير الوقت أيضًا مسألة غير سهلة ، سأعطى لنفسى مجالا واسعًا مقداره يومان !

هتفت به :

- هذا كثير ..

- لنأمل فى أن أستطيع فعلها قبل هذا ..

قال الأستاذ (بهاء) منبهًا إيانا لما لم ننتبه له من قبل :

- لاتنس أنك ستعمل هنا ، فهذه المقتنيات لاتخرج من المتحف على الإطلاق ..

حاولت أن أقول :

- حتى لو ...

لكنه قاطعنى بلهجة باترة :

- هذه مسألة غير قابلة للنقاش ..

قال (سيف) مهونًا الأمر على جميع الأطراف :

- لاتوجد مشكلة ، سأقيم هاهنا حتى أنتهى فى أسرع وقت إن لزم الأمر ..

هز الأستاذ (بهاء) رأسه الأشيب قائلا :

- ومن جهتنا سنكون متعاونين حتى أقصى حد وسنحاول توفير أقصى سبل الراحة وعدم الإزعاج ..

ثم إنه أشار نحو الموظف الرث الهيئة متابعًا :

- والأستاذ (عفيفى) سيقيم معك حتى تنتهى من مهمتك ، فهذه البرديات عهدته الشخصية ، ومن ناحية أخرى يمكنك أن تطلب منه أى مساعدة من داخل المتحف ..

اتخذ (سيف) مقعده أمام الطاولة وقال :

- هذا رائع ، يمكننى إذن أن أشرع فى العمل من الآن ..

قلت :

ـ وأنا سأنسحب ، اتصل بى لو احتجت شيئًا أو توصلت إلى نتيجة ..

ـ بالتأكيد ..

تركنا له المكتبة ، وودعنى الأستاذ (بهاء) بلطف حتى بوابة المتحف ، لكنى ـ لدهشتى ـ لم أغادر ، ووجدت نفسى أعود إلى ذلك الممر الواسع ، وبالتحديد أكثر إلى رأس (حورس) الذهبية المعروضة خلف حاجز زجاجى ..

ـ لماذا عدت ؟!

ـ لا أدرى ..

ـ وكم لبثت أنظر له ؟!

ـ لا أدرى ..

ـ ولماذا كنت أحدق فيه بهذه الصورة الملفتة للنظر ؟!

ـ ليتنى أدرى !

★ ★ ★

٤ـ النبوءات ..

العروس تتزين ، وتستعد للتضحية بروحها وفاء لحبيبها ..

العريس يركض فى مجراه بين الضفتين منحدرًا من قمة الجنوب إلى منخفض الشمال ..

العروس هى أنا ، وجارية نوبية تدعى (رئيفة) تضفر لى شعرى فى خصلات دقيقة ..

العريس هو الراكض فى مجراه ، المتدفق نهرًا من خلود ..

الموسيقى تتصاعد من خلف جبال الغرب النائمة بين أحضان الموت ..

جنود الفرعون العظيم يتراصون صفوفًا طولية وعرضية متقاطعة ..

والعامة يشاهدون من على البعد ..

أسير بين الصفوف ، أخطر فى ثوب أبيض طويل ، الكحل غارق فى عينى ، شفتاى قطعتان من الفراولة ، والنهر الخالد يفتح لى ذراعيه فى شوق الفيضان ..

لكنى فجأة ألمحه عند الشاطئ الآخر ..

شاطئ الهلاك والغروب ..

ظل من عدم ، يعقد ذراعيه أمام صدره كالمومياء ، والوجه مختفٍ خلف قناع ذهبى بلاملامح ..

أتوقف عن السير ، يثور النيل وتدوى الهمهمات بين المتحلقين ..

أتحدث معه دون أن تنفرج الشفتان ، ودون أن يعلو صوت الخواطر ..

ـ تأخرت ..

يبتسم دون ابتسام ، ويقول دون أن يقول ..

ـ لايمكن أن أتأخر عن عرس مولاتى الصغيرة ..

تنمو براعم الحنين فى حنايا وجهى ..

ـ انتظرتك طويلا ..

ـ وأنا لا أخلف موعدًا ..

تستبد بى الطفولة ، وتعصف بقلبى رغبتى المستحيلة ..

ـ هلانزعت قناعك ..

ـ دعينا لانبدأ من هذه النقطة ..

ـ من أين إذن ؟!

ـ من حيث انتهينا ..

تتفجر ينابيع النيران فى صدرى الخافق بالأمل الذابل ..

ـ أريد أن أرى وجهك ..

يربت على كتفى الطفل بكلمات لا أحبها ..

ـ خلف القناع لعنة لن يحتملها قلبك الضعيف ..

أصيح فى نزق حانق ..

ـ لاشأن لك ، انزعه والسلام ..

ـ ربما حين أعود ..

ـ من أين ؟! أين أنت الآن ؟!

ـ مع (أوزوريس) ، نطارد قمرًا مختنقًا بضوئه الشحيح !

ـ ومتى تعود ؟!

ـ لاقيمة للوقت ، سأعود حين أعود ..

هنا انفجر العامة المتحلقين بالصياح المدوى ، وتجهم وجه الفرعون ، وصاح جنوده صيحات قتالية ، وعلت أمواج النيل الهائلة لتسرقنى منه بذراعين عاليتين من الماء ..

وغصت فى القاع ..

جاهدت للفكاك دون جدوى ..

كنت أغوص ..

وأموت ..

أغوص ..

وأموت ..

أغوص ..

وأموت ..

فقدت الحياة تقريبًا ، و...

★ ★ ★

نهضت من نوم القيلولة مفزوعة ، كان كابوسًا مفزعًا ..

حلمت بالغرق وأنا التى أجيد السباحة إجادتى لفن الطهى (المحصلة صفر !) ..

استعذت بالله من الشيطان الرجيم ، تناولت كوب الماء من جوار السرير وشربت ، نظرت إلى ساعتى المكعبة فوق المكتب لأجد عقاربها تشير إلى السابعة والنصف مساء ، نمت كثيرًا ، هكذا فكرت .. وعندما نهضت ودسست قدمى فى خفى المنزلى انتبهت لحظتها إلى أن الطقس قد عاد يسوء فى الخارج ، رياح تصفر بلا هوادة وأمطار تنهمر فى جنون ..

أطاح هذا بكل مشاريع الخروج والتسوق التى فكرت فيها لتمضية مساء اليوم ، سأرابط فى المنزل إذن باحثة عن نشاط أزجى به الوقت حتى يحين موعد نومى الليلى !

المذاكرة ؟!

كلا ، ليس بى مزاج لها ، ثم إننى أنهيت مراجعة أغلب المحاضرات عندما عدت من المتحف فى الظهيرة ، إننى فتاة مجتهدة لاتؤجل عمل الصباح حتى المساء ..

التلفزيون ؟!

صرت أمقت هذا الجهاز الذى يفيض بكل غث ورديء دون أن يصيب هذا المسئولين عن قنواته بالحرج أو عذاب الضمير ، فمن مسلسل تافه إلى أغنية خليعة إلى إعلان سخيف إلى برنامج يناقش أحط الموضوعات ، حتى نشرات الأخبار تصيبك بالغثيان إذا ما قارنتها بنشرات الأخبار الأجنبية المحترمة !

هى القراءة إذن ملاذى الأخير ..

وقفت أمام المكتبة أمر بعينى على عناوين الكتب الصالحة لتمضية ليلة مسلية ، لدى مجموعة لا بأس بها من الروايات والمسرحيات والمجموعات القصصية والدواوين الشعرية والدراسات العلمية و ..

ودون أن أشعر وجدتنى أجذب كتاب (لعنة الفراعنة) ، واستلقيت على أريكة الصالة شارعة فى تقليب صفحاته ..

قرأت طويلا حتى فوجئت بالساعة تشير إلى الحادية عشرة عندما دار مفتاح فى باب الشقة ، ووجدته ، أبى قد عاد من المستشفى مبللاً ومتسخًا ، ابتسمت لرؤيته وأعددت العشاء حتى انتهى هو من حمامه ، وأمضينا على طاولة العشاء وقتًا جميلا قلما يجود الدهر بمثله ..

وفى تمام منتصف الليل ـ كان أبى لحظتها يغسل يده من طعام العشاء ـ رن هاتفى المحمول برقم مألوف لم أتعرف صاحبه بسهولة ، فضغطت زر القبول على الفور ..

ـ آلو ..

ـ آنسة (نسرين) ..

عرفت صوته على الفور فلم يمر وقت كثير على افتراقنا صباح اليوم ، لكنه كان يلهث فى انفعال عنيف مريب ..

ـ نعم ، ماذا حدث يا سيد (سيف) ؟!

قال كلمتين غريبتين :

ـ شبه كارثة !

سألته فى حرص على ألا يعلو صوتى لئلا يقلق أبى :

ـ من أين تتحدث ؟

هتف لاهثًا كأنه فرغ من سباق العدو الطويل من فوره :

ـ من المتحف ، المكتبة .. نفس المكان الذى تركتنى فيه صباحًا ..

ـ ماذا حدث إذن ؟

- البرديات ..

- ما بها ؟

سألته وقد بدأت أصبح عصبية ، فأجابنى وقد استشف شعورى من نبراتى :

- ترجمتها كلها ..

صحتُ - لم أستطع منع نفسى هذه المرة - فى ذهول :

- حقًا ؟ بهذه السرعة ؟

- لم تكن النصوص طويلة أو معقدة ، و ..

هنا بدأت شبكة الهواتف المحمولة تمارس ألاعيبها السخيفة فى إخفاء الصوت وتقطيعه إلى وصلات غير مفهومة ..

- آلو .. سيد (سيف) .. لا أسمعك بوضوح .. هل تسمعنى أنت ؟ ماذا حدث ؟ آلو .. عمومًا لو كنت تسمعنى بوضوح فاعلم أنى آتية إلى المتحف فى الحال .. إلى اللقاء !

وأغلقت الهاتف ، فى نفس اللحظة التى أطل فيها وجه أبى من خلف باب غرفتى ، ليقول باسمًا :

- أهو (هشام) من كان يحدثك ؟

لم أرد ، ونظرت إليه طويلا ..

سيغدو إقناعه بالنزول الآن - فى هذا الوقت ، وفى هذا الطقس ، ولتلك الجهة ، ولذلك الغرض المجنون - صعبًا ..

بل ربما كان مستحيلا ..

لكن (نابليون) قالها ، وأنا أصدقه : (لا يوجد مستحيل) !

★ ★ ★

أشار (سيف) إلى البرديات المتراصة فى غير نظام فوق الطاولة وهتف :

- إننا نشهد مولد كارثة بالفعل ..

نظرت إلى ساعة معصمى التى تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل بقليل ، ولم أجد الوقت مناسبًا للمقدمات ولا للحوارات الطويلة العقيمة ، فنظرت نظرة سريعة إلى الموظف الرث الهيئة الذى نام جالسًا على مقعده ، ثم قلت مسددة بصرى إلى (سيف) :

- لا أجد الوقت مناسبًا للمقدمات ولا للحوارات الطويلة العقيمة يا سيد (سيف) ..

هز رأسه متفهمًا ، وقال :

- ليكن ، سأتحدث باختصار وتكثيف ..

ثم أمسك بورقة بيضاء خط فوقها بيده بعض السطور ، وقرأ منها :

ـ .. «أجنحة الموت تحلق فوق رءوس من يدنسون مرقده .. الرياح الذهبية تعصف بأمن الآمنين .. والحزن يطارد الرفاق السعداء .. والشؤم يأكل لحم المدينة .. إن روح الشر إذا بعثت من تحت الرماد .. سوف تعيث فى الدنيا خرابًا بلانهاية .. »

سألته لمجرد التأكد :

ـ أكان هذا مدونًا فى البرديات ؟!

أجابنى فى سرعة :

ـ أجل ..

هززت كتفى وأنا أقول فى بساطة :

ـ هذا لايعنى الكثير كما تعلم ، وهو موجود فوق الكثير من القبور والوثائق القديمة بغرض إخافة العابثين بالقبور من الاقتراب منه ، أو ...

قاطعنى ملوحًا بالورقة :

ـ هذا ليس كل شىء .. اسمعى ..

ثم أمسك بورقة بيضاء خط فوقها بيده بعض السطور ، وقرأ منها :
ـ .. «أجنحة الموت تحلق فوق رءوس من يدنسون مرقده ..

عاد يقرأ :

ـ « تقول النجوم إنها رأت كل شىء .. تقول النجوم إن (ست) سيبعث من تحت الرمال .. تقول النجوم إن كل شىء سيكون سيئًا .. تقول النجوم إن الموت سيطوى بجناحيه كل من يدنس قبره .. تقول النجوم .. »

انعقد حاجباى على الرغم منى ، وغمغمت متوجسة خيفة مما أسمع ، أو من معناه :

ـ رباه .. أهذا ممكن ؟!

هتف (سيف) بى :

ـ ليس هذا فقط .. هناك أيضًا جزء يقول : « ويل لمن يعترض طريقه .. ويل لمن يقتفى أثره .. ويل لمن ينظر فى عينيه .. ويل لمن يقبض على جمراته .. تحترق يداه .. وتذوى زهرة عمره الجميل .. »

سألته وأفكارى تتفرق ككرات البلياردو :

ـ أهذه نبوءات بما يحدث الآن ؟!

هتف والورقة ترتفع وتنخفض فى يده :

ـ تقريبًا ، رؤى فلكية مثلاً ، أو لعلها توقعات مبنية على أسس منطقية .. كل شىء جائز ، لكن الكلمات دقيقة إلى حد مفزع ..

هتفت مأخوذة :

ـ إن نظرية اللعنة ليست هراء إذن ..

ـ أيًا كانت ماهية هذه اللعنة ، فالواقع يقول إننا نواجه تمثالاً محملاً بشىء ما يجعل الموت يتسلل إلى كل من يلمسه !

قلت وأنا أفكر :

ـ ست أشخاص ماتوا حتى الآن بسبب هذا التمثال ..

ازدرد (سيف) لعابه ، ثم قال معاودًا النظر إلى الورقة :

ـ أكثر من هذا ، إليك السطور التالية : « ويكون عام تعوى فيه ذئاب الريح الجائعة .. تورق أشجار الصحارى رمالاً .. وتخترق المياه أسوار مدينة النيام .. » !

شهقت فى فزع وأنا أستمع إلى أصوات الرعود وانهمار المطر وحفيف الأشجار بفعل الريح العاتية فى الخارج ، وغمغمت واضعة راحتى أمام فمى المفغور :

ـ إلى هذا الحد ؟!

انهار (سيف) فوق مقعده ، ربما بفعل الإرهاق ، وتمتم :

ـ إنها لعنة حقيقية يا آنسة (نسرين) !

تمالكت نفسى بصعوبة ، ونظرت إليه بعينين اتسعتا فرقًا لأقول :

ـ والعمل ؟! هل نتركها تعيث فسادًا ؟! أما من دواء وصفه كاهنك هذا ؟!

رفع يده الممسكة بالورقة ليقربها من عينيه ، وقال فى لهجة بائسة :

ـ سطور من الإنشاء البلاغى يقول فيها : « لن نتركك أيها الشر لتعيث فى العالم فسادًا وفوضى .. لن يتركك (حورس) .. سيطاردك حتى بطن الجبل الأعظم .. وهناك .. تكون الموقعة .. » !

يبدو إنشاء بلاغيًا بالفعل ، لولا تلك الفكرة التى برقت فى رأسى كالإلهام ..

ـ أين السطور التى يقول فيها هذا فى البرديات يا سيد (سيف) ؟!

مد يده وتناول بردية مفرودة على الطاولة ، ودون أن يتحرك أو ينظر نحوى ناولنى إياها فاختطفتها فى لهفة ، وجرت عينى على السطور المطلسمة حتى توقفت عند رسم الرمز الذى أريده ..

رمز (حورس) ..

كان مرسومًا بغير إتقان ، لكن ملامحه ظاهرة إلى حد مرضٍ ، المنقار الصغير المعقوف ، والعينان الدائريتان ، والقمة المسطحة التى يعلوها تاج طويل تتكون مقدمته من حية الكوبرا الفرعونية الشهيرة ، وخلفها ريشتان متجاورتان طويلتان جدًا ..

ونظرت إلى الباب المفضى إلى الخارج ، إلى الممر الذى يحوى الرأس الذهبية ..

واتضحت الفكرة فى رأسى أكثر ، فنظرتُ إلى (سيف) وقلت :

ـ اعتقد أننى قد توصلت إلى الحل ..

التفت إلى أخيرًا بملامح مستغربة متسائلة :

ـ أى حل تقصدين ؟!

ـ حل مجنون ، يليق بقضية مجنونة كهذه ..

وشرعت أفسر له نظريتى ، مستمتعة بتلك الدهشة التى ظهرت على وجهه لأقصى حد !

★ ★ ★

٥ ـ اتفاق ..

ـ ماذا تقولان ؟!

هتف بها الأستاذ (بهاء) مستنكرًا ، وهو يقفز من جلسته خلف مكتبه كمن لدغه ثعبان ..

ـ ما سمعته يا سيدى ، لم تخنك أذناك ..

قلتها فى تهوين ، فى حين انزوى (سيف) فى جلسته وقد اعتوره الخجل ؛ موقنًا بعبثية الموقف برمته ..

هتف الأستاذ (بهاء) وقد احتقنت وجنتاه :

ـ مستحيل .. هذا جنون .. مستحيل أن أسمح بهذه المهزلة ..

فى الحقيقة كنت أقدّر أن الطلب حرىّ بإفقاد شخص وقور مثل الأستاذ (بهاء) وقاره واتزانه وكياسته ، لكن :

ـ الضرورات تبيح المحظورات دومًا يا سيدى ..

قلتها بنفس هدوئى الهين الذى ظللت أتدرب عليه طوال الليل ، منذ تركت (سيف) حبيس المكتبة وعدت إلى المنزل قبل أن يتوقف قلب أبى من الرعب على ..

ذرع الأستاذ (بهاء) الغرفة روحة وجيئة ، حتى توقف فى النهاية بينى وبين (سيف) قائلاً كأنه يختبر رجاحة عقله :

ـ لحظة من فضلكما .. أنتما تريدان منى أن أسمح بخروج أثر قيم مثل رأس (حورس) الذهبية من أجل القضاء على لعنة فرعونية قديمة .. هل هذا ما قلتماه بالفعل ؟!

هز (سيف) كتفيه ، ومط شفتيه قائلاً على طريقة (لتنشق ـ الأرض ـ و ـ تبلعنى) :

ـ نعم يا سيدى ، هذا ما تنص عليه برديات (حابى) !

قلت أنا وكأنى أفقد صبرى :

ـ لقد شرحنا لك القصة بتفاصيلها يا أستاذ (بهاء) !

صاح بى كأنه قنبلة هيدروجينية انفجرت بطريق الخطأ :

ـ قصتك هذه لن تقنع طفلاً صغيرًا يهوى متابعة قناة (سبيس تون) ، لو خرج هذا الأثر من المتحف فسأخرج خلفه إلى السجن فورًا ..

قلت أنا دون أن تفقدنى ثورته هدوء النبرة :

ـ إننا نحاول منع كارثة محققة يا أستاذ (بهاء) ..

التقط (سيف) طرف الخيط منى وقال :

ـ كثيرون لقوا حتفهم حتى الآن بسبب لعنة تمثال (ست) المختفى ..

أردفتُ فى الوقت المناسب :

ـ وكثيرون آخرون سيلقون حتفهم لو لم نقاوم هذه اللعنة الـ .. اللعينة !

قال (سيف) مشيرًا لثورة الطبيعة فى الخارج عبر النافذة :

ـ هذا الطقس أيضًا لم نره فى (القاهرة) من قبل ، وهو دليل على صدق النبوءة ..

حرصت على التناغم مع (سيف) إذ قلت بعده :

ـ أنت دارس للآثار الفرعونية يا سيدى بكل تأكيد ، ولعلك تعرف عن الفراعنة وقدراتهم وأسرارهم أكثر مما نعرف بكثير ، مما قد يدفعك لتصديقنا ..

قال وقد ظهر الاقتناع جليًا فوق قسماته الجادة :

ـ أنا لا أكذِّبكما ، لكن .. شىء كهذا لن يقنع المجلس الأعلى للآثار أبدًا .. سيعتبروننى سارقًا ويحاكموننى ويودعوننى السجن .. ولست مستعدًا لملاقاة مثل هذا المصير أبدًا إن أردتما الحقيقة ..

قلت مرخية طرف الحبل من جهتى :

ـ ومن سيبلغ المجلس يا سيدى ؟!

ـ المجلس ليس فى حاجة لمن يبلغه ، هناك تفتيش دورى على المقتنيات ولجان خاصة بالجرد والإحصاء .. ليس اختفاء أثر ـ مهما كان تافهًا ـ بالشىء الذى يمكن إخفاؤه ..

هنا رمى (سيف) رميته الصائبة كما اتفقنا :

ـ حتى ولو ليوم واحد ؟!

التفت إليه الأستاذ (بهاء) بغتة وقد فاجأه القول ، وعبس بشدة مرددًا :

ـ يوم واحد ؟!

ثم سائلاً :

ـ .. ماذا تعنى يا سيد (سيف) ؟!

أتت الإجابة من جهتى كما اتفقنا أيضًا :

ـ سنعقد اتفاقًا يا سيدى يضمن الحفاظ على سلامة جميع الأطراف ..

التفت إلى سائلاً :

ـ أى اتفاق هذا ؟!

المجيب ـ طبعًا ـ هو (سيف):

ـ المتحف يغلق أبوابه فى الثالثة ظهرًا يا سيدى ، ويفتح أبوابه فى اليوم التالى فى الساعة الثامنة صباحًا .. إذا أعطيتنا التمثال عندما يغلق المتحف أبوابه اليوم ، أستطيع أن أعدك بالعودة به قبل أن يفتح المتحف أبوابه للزوار غدًا ..

إنهمك الأستاذ (بهاء) فى التفكير بعمق ، ومرت الدقائق ثقيلة قبل أن يعود فيجلس خلف مكتبه من جديد ، ويقول داقًّا سطح المكتب بأطراف أصابعه :

ـ هذا الكلام معقول ، لكن .. ما الذى يضمن لى أن هذا سيحدث ؟!

قلت أنا لأنهى هذا النقاش بما يستحّق :

ـ لو لم نعد قبل الثامنة صباحًا ، تستطيع يا سيدى أن تبلغ الشرطة عن سرقة التمثال ، وأن تشتبه فينا ـ نحن بالذات ـ مما يعفيك من أى مسئولية قانونية ..

نظر إلى مليًا ، وعندما سألته :

ـ .. ما رأيك يا أستاذ (بهاء) ؟!

ـ كنت أعلم أنه سيوافق !

★ ★ ★

خرج (زيكو حركات) من الغرفة وأغلق بابها خلفه ، فتعلقت عينا (عبده مرزوق) به وهو يعود لجلسته على الأرض بجوار النارجيلة وقطع الفحم المتوهجة داخل الموقد الصغير ، وسأله بتوتر شديد :

ـ هل تحسن الآن ؟!

هز (زيكو) رأسه بالنفى دون أن ينطق ، وطفق يعد الأحجار فوق النارجيلة بهدوئه المعهود ، بينما طرقع (عبده) مفاصل أصابعه وعاد ينظر من النافذة المتهالكة إلى نهاية الحارة الضيقة المزدحمة بالبشر فى النهار المبكر ، وقال :

ـ .. هذا التمثال شؤم حقيقى ، منذ عدنا به وقلبى منقبض ، هذا غير القتل الذى ارتكبناه دون سبب .. والآن (أبو الروس) مريض محموم يهذى بكلام غريب لا أفهمه !

سدد بصره نحو التمثال الذى مازال ماثلا كاللعنة فى منتصف الصالة ، ثم تنهد فى توجس مبعدًا عينيه عنه بصعوبة نحو (زيكو) ليقول :

ـ .. لو لم يتحسن حتى الظهيرة سأحضر له طبيبًا ، سيذهب الرجل فى شربة ماء لو لم نفعل يا (زيكو) !

لم ينبس (زيكو) ببنت شفة ، وظل متقوقعًا فى صمته وأنفاسه فى حين تابع (عبده) وهو ينظر إلى السيارة (البيجو) البيضاء الرابضة أسفل المنزل القديم الآيل للسقوط :

- .. يجب أن يفيق ويتعافى حتى يخبرنا بما نفعله بهذه الداهية الثقيلة !

★ ★ ★

خرجت من مكتب (مصر للطيران) بالمطار ممسكة بتذكرتى الطائرة فى يدى ، واتجهت على الفور نحو (سيف) الجالس منهكًا على مقعد قريب ، وأسفل قدمه الحقيبة الكبيرة التى تحوى سرنا المشترك !

نعم ، قررت الذهاب إلى (الأقصر) ومنها إلى (الكوم الأحمر) لدرء خطر (ست) ، صحيح أن الطقس قد بدأ يعتدل لكنه سيعود ليسوء ليلاً كما يقول خبراء الأرصاد ، وصحيح أن التمثال ما زال مختفيًا عند شخص نجهله ، لكننا ننتظر الموت القادم على يدى اللعنة التى بعثت من مرقدها تحت رمال (هواريس) ..

اتصلت بأبى منذ قليل وأخبرته أننى ذاهبة إلى (الأقصر) فى مهمة صحفية تستغرق يومًا ، ورجوته أن يتصل بنفسه ليبلغ (هشام) بهذا الأمر إذ افتقدت الجرأة على إخباره بنفسى ، برغم أنه يعرف أنى أحقق فى موضوع يتعلق بلعنة الفراعنة ..

وها هو ذا (سيف) - الذى لم يمض على تعارفى به أكثر من يومين - يتناول منى تذكرته ، وفى الحقيقة هو شاب مهذب أشعر بأنى قد رأيته من قبل ، ملامحه مألوفة جدًا كأنها لأخ لم تلده أمى ..

- (الأقصر) من جديد ..

قالها وهو ينظر فى التذكرة مبتسمًا ، وأردف :

- .. قضيت هناك فترة تجنيدى الإجبارى ، كانت أيامًا جميلة حقًا ..

ابتسمت بدورى وقلت :

- ظللت أحلم طوال عمرى بالذهاب فى رحلة إلى (الأقصر) ، وعندما تحقق الحلم أجدنى مسافرة لعدد محدود جدًا من الساعات !

هز (سيف) كتفيه وقال :

- الظروف تحكم !

وقبل أن أقول شيئًا ارتفع صوت النداء النسائى فى أرجاء المطار :

ـ تعلن شركة (مصر للطيران) عن قيام رحلتها رقم ٩٧ المتجهة إلى مددينة (الأقصر) ، على السادة الركاب التوجه للبوابة رقم ٤ .. شكرًا ..

نهضنا وقد بلغ الإرهاق منا مبلغه ، أشارت ساعة المطار الرقمية الكبيرة إلى الخامسة عصرًا ونحن نعبر من الحاجز الأمنى ، واضعين الحقيبة ـ التى تحوى سرنا المشترك ـ تحت جهاز الفحص بالأشعة التلفزيونية ..

مال الضابط الشاب المختص بالمراقبة على أذن زميله هامسًا وهو يشير إلى الشاشة :

ـ انظر .. أناس مخابيل ..

نظر زميله إلى حيث يشير وهو يتابع :

ـ .. يصحبون معهم تمثالا تذكاريًا إلى (الأقصر) المليئة بالتماثيل التذكارية !

هز الزميل كتفيه ، وقال فى لامبالاة :

ـ لاتشغل بالك .. دع الخلق للخالق !

★ ★ ★

انفتح باب الغرفة فجأة ليبدو من خلفه (غريب أبو الروس) الذى قتل الإعياء وجهه ، وتصبب العرق غزيرًا من كل مسام جسمه ، فهرع إليه شريكاه على الفور يسنداه ويساعداه على السير حتى الأريكة القائمة فى منتصف الصالة ..

ارتمى فوقها وهو يلهث ككلب فى يوم حار ، فى حين قال (عبده) مداريًا مشاعره السوداء خلف قناع من الفرحة الشاحبة :

ـ هذا رائع .. لقد أفقت أخيرًا يا (أبو الروس) !

نظر إليهما (غريب) نظرات فارغة ، كأنه لايعرفهما ، أو كأنه لايراهما من الأصل !

أمسك (عبده) بذراعه وهزه فى عنف ، هاتفًا وقد فقد السيطرة على أعصابه :

ـ (غريب) .. مابك يا (غريب) ؟! .. أفق يا رجل .. ألا تعرفنا ؟! أنا (عبده مرزوق) وهذا (زيكو حركات) ..

ظل (غريب) شاردًا عما يقول ، كأنه لايسمع ولايرى ولايتكلم ..

ـ .. (زيكو) .. يبدو أنه لايعرفنا .. لقد فقد الذاكرة والبصر والنطق مرة واحدة ..

قالها (عبده) فى جزع يليق بدقة الموقف ، حتى خلص (غريب) ذراعه من قبضته ، وسقط على الأرض ليحبو نحو التمثال القائم فى برود ، فأقعى أمامه وطفق ينظر إليه فى ثبات كأنه مجذوب إليه بقوة خفية ..

وتبادل (عبده) و (زيكو) نظرتان مفعمتان بالكثير مما لايعرفان طريقة لقوله !

★ ★ ★

غادرنا مطار (الأقصر) وعبرنا إلى البر الغربى بزورق سياحى ، ثم سألنا عن أقرب موقف لسيارات الأجرة ، وكان الطقس قد بدأ ينقلب إلى رياح عاصفة وأمطار منهمرة وغبار يلسع فى الوجه ..

ـ نريد أن نذهب إلى (الكوم الأحمر) ..

قالها (سيف) لقائد سيارة أسمر يرتدى جلبابًا مطرزًا ، فرفع الأخير عقيرته بالنداء :

ـ (حامد) .. يا (حامد) ..

ظهر (حامد) من خلف سيارة (مرسيدس) عتيقة يعود طرازها إلى خمسينات القرن الماضى تقريبا ، وهرول نحونا هاتفا بلهجة صعيدية قحة :

ـ أجل .. أى خدمة يا (بهوات) !

ضئيل داكن البشرة بأسنان من اللؤلؤ النقى ، هذا هو (حامد) باختصار ..

ـ (البهوات) يريدان الذهاب إلى (الكوم الأحمر) ..

قال (حامد) :

ـ عشرون جنيهًا ..

فقال (سيف) فى حرص حذر :

ـ المهم هل تعرف الطريق جيدًا ، ليس أمامنا وقت نضل فيه الطريق !

قال (حامد) مبتسمًا فى افتخار :

ـ عيب يا (بيه) ، إنها بلدتى الأصلية ..

تبعناه على الفور ، وانطلقت بنا (المرسيدس) العتيقة على الفور شاهدة على عظمة الصناعة الألمانية ومتانتها عبر العصور ..

★ ★ ★

٦ ـ المطاريد ..

عبر كاسيت السيارة انطلق صوت (شعبان عبد الرحيم) يغنى بأفظع ما يمكن للأذن أن تسمعه من كلمات وألحان وأنكر الأصوات ، وتمايل (حامد) على وقع الإيقاع الهابط منسجمًا ، بينما بحثت أنا عما يمكن أن أسد به أذنىَّ عن هذا التلوث الشنيع ، غير أنى لم أجد ما يصلح بكل أسف !

امتدت يد (سيف) إلى الكاسيت ـ وقد أشفق علىَّ أخيرًا على ما يبدو ـ لتخفض من الصوت قليلاً ، وسمعته يسأل السائق الذى لوى بوزه امتعاضًا كأننا منعنا عنه الماء أو الهواء :

ـ هل بقى الكثير يا أسطى (حامد) ؟!

قال (حامد) متأففًا :

ـ ساعة إلا الربع على أقصى تقدير ..

كانت الشمس قد غربت بالفعل ، والسماء اسودت والعواصف اشتدت والأمطار توحشت ، كأننا فى غابة من الغابات الاستوائية ، لكن السيارة بقيت ثابتة فوق الأسفلت ولم تطِر بفعل الهواء ـ لحسن الحظ ـ كما يوحى مظهرها الخارجى ..

عاد (سيف) يحاول مد جسور الحوار معه :

ـ قلت لى إن (الكوم الأحمر) هى بلدتك الأصلية .. أليس كذلك ؟!

قال (حامد) وقد سرّه أن يحدثه أحد عن نفسه :

ـ بلى .. أبًا عن جد !

ـ هل فى بلدك جبال مشهورة ؟!

ضحك (حامد) من السؤال كاشفًا عن اللؤلؤ المتراص فى فمه ، ثم أجاب :

ـ (الكوم الأحمر) ليست إلا سلسلة من الجبال المتفرقة يا أستاذ ..

جاراه (سيف) حتى النهاية سائلا :

ـ هل فى هذه الجبال ما يدعى بـ (الجبل الأعظم) ؟!

تلاشت ضحكة (حامد) ، وعلا الكدر وجهه وهو يسأل بدوره :

ـ تقصد (الجبل العظيم) ؟!

هز (سيف) رأسه بالإيجاب ، وقال :

ـ تقريبًا ..

هتف (حامد) فى انزعاج :

ـ ولماذا تسأل عن هذا الجبل بالذات يا أستاذ ؟!

أسقط فى يد (سيف) ولم يحر جوابًا ، فأنقذته أنا بقولى :

ـ هل هناك ما يخيف بشأن هذا الجبل أم ماذا يا أسطى (حامد) ؟!

تعاظم الانزعاج فى صوت (حامد) ، وامتزج بخوف مكتوم إذ قال :

ـ سلام قولاً من رب رحيم يا سيدتى .. هناك الكثير من الأقاويل بالفعل حول هذ الجبل الملعون !

سأله (سيف) :

ـ أقاويل مثل ماذا ؟!

صمت (حامد) وبلع ريقه بصوت مسموع ، ثم قال :

ـ يقولون عنه إنه .. إنه مسكون !

منعت نفسى من الابتسام بصعوبة وأنا أسأله فى استهانة :

ـ مسكون بماذا ؟! بالعفاريت أم بالأرواح الشريرة ؟!

نفض (حامد) رأسه ، وتشبث بالمقود فى قوة عندما هزم الرعد فى الخارج ، وقال مفزوعًا كأن أسودًا تطارده :

ـ لا هذه ولا تلك يا سيدتى ..

لمست نفس النبرة المستهينة فى سؤال (سيف) له :

ـ بماذا إذن يا أسطى (حامد) ؟!

ـ بالمطاريد يا أستاذ ..

قالها (حامد) وهو يرتجف ..

ـ .. بالمطاريد !

★ ★ ★

عن يمين (غريب) جلس (زيكو) ، وعن يساره جلس (عبده) ، وظل الأول يحدق فى التمثال فى ثبات ؛ كأنما يمتصه من الوجود ..

ـ (غريب) ..

صدر النداء الخافت عن (عبده) ، ولم يبد أن (غريب) قد سمعه أصلا ..

ـ .. تكلم يا (غريب) .. قل شيئًا .. قل أى شىء ..

تحطم الرجاء على جدار الجمود ..

مد (زيكو) يده له بسيجارة ، لكنه لم يلتفت إليها ، ولم يطرف له جفن فى تحديقه بعينى التمثال البازلتى الأحمر ..

ـ .. لو ظللت على هذا الحال يا (غريب) فسأحطم هذا التمثال بيدى ..

هتف بها (عبده) مهددًا وقد فاض به الكيل ، وبمجرد أن أتم عبارته علت الصرخة الرهيبة من حنجرة (غريب) ..

صرخة ألم عات ..

رفع (غريب) يديه ليمسك برأسه ، وسقط على ظهره متلويًا كأن تيارًا كهربيًا يسرى فى أوصاله ، فتعاون (عبده) و(زيكو) على حمله ، وعادا به إلى داخل غرفته من جديد ..

★ ★ ★

ضغط (حامد) دواسة الوقود بأقصى قوته ، فى محاولة للسير عكس اتجاه الريح التى تكاد تقتلع السيارة من سيرها على الطريق ، بالإضافة للتراب الذى يجعل الرؤية معتمة ، والأمطار التى تزيد الطين بلة ..

ـ يبدو أن الرياح تزداد سعارًا !

قال (حامد) وهو مشتت ما بين خوفه على سيارته ، ورغبته فى الوصول إلى مكان آمن ، وحنينه إلى صوت (شعبولا) :

ـ صدقنى يا أستاذ ، فى حياتى كلها لم أر الطقس بهذا السوء أبدًا ..

قال (سيف) فى صدق له ما يبرره :

ـ أصدقك ..

سألت وأنا أكاد أموت تعبًا ، ناظرة فى الساعة التى اقتربت من التاسعة :

ـ هل بقى الكثير يا أسطى (حامد) ؟!

أجابنى وهو يحاول السيطرة على مخاوفه :

ـ عند المنعطف القادم يتبقى لنا حوالى عشرة كيلومترات ، لقد وصلنا تقريبًا !

انعطف بالسيارة عند المنعطف المزعوم ، وليته ما فعل ، فقد توقفت السيارة تمامًا وأبت أن تسير مترًا واحدًا زيادة ..

أرغى (حامد) وأزبد ، وهبط من السيارة إلى حيث الريح والمطر فى الخارج ، ثم عاد زاعقًا فى حنق :

ـ المصائب لا تأتى فرادى .. لقد انغرس الإطار الأمامى فى الرمال الموحلة !

زفر (سيف) وصاح فى غيظ : .

ـ هذا ما كان ينقصنا حقًّا ..

أخرجت هاتفى المحمول من جيبى ونظرت إلى شاشته لأرى أننا هنا خارج نطاق التغطية الشبكية ، بمعنى أننا :

ـ سنظل هنا حتى تنتهى العاصفة ، أو يمر علينا أحد ليساعدنا ..

قالها (حامد) فى ضيق بالغ يستأهله الموقف ، لكنى لم أكن مستعدة لقبول حل سلبى انهزامى كهذا مهما كانت الظروف قاسية ، فقلت :

ـ لست مستعدة لقبول حل سلبى انهزامى كهذا بكل أسف !

التفت إلىّ (سيف) وسألنى مقطبًا :

ـ ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟!

قلت طارحة الحل الأمثل من وجهة نظرى :

ـ الحل الأمثل من وجهة نظرى أن نتجه إلى الجبل سيرًا على الأقدام !

اتسعت عينا (سيف) وهو يهتف مصعوقًا :

ـ عشرة كيلومترات ؟!

وتبعه (حامد) بالهتاف المصعوق :

ـ فى هذا الطقس الرهيب ؟!

قلت فى لهجة عملية :

ـ أفضل من الجلوس داخل هذا الصندوق الحديدى فى انتظار معجزة ما ، والوقت كما تعرفان يمضى ولا ينتظر أحدًا ..

صاح (حامد) :

ـ هذا جنون أكيد ، أنا باق هنا !

نظرت إلى (سيف) أسأله فى تحد واضح :

ـ وأنت ؟!

بان التردد جليًا فى عينيه ، قبل أن يسألنى :

ـ هل تدركين ما ينطوى عليه فعل كهذا من مخاطر ؟!

حملت الحقيبة وفتحت الباب المجاور لى وأنا أقول :

ـ تستطيع البقاء مع الأسطى (حامد) لو أردت ، لكننى ذاهبة فى كل الأحوال ..

وهبطت من السيارة بالفعل لتضرب الرياح وجهى وتغرق الأمطار رأسى ، حاملة الحقيبة التى تحوى الرأس الذهبى ، وكما توقعت رأيت (سيف) يهبط خلفى هاتفًا وهو يبتسم :

ـ لو لم تكونى عنيدة إلى هذا الحد !

لم يكمل ، حمل عنى الحقيبة فى شهامة ، وتقدمنى فى المسير باتجاه البلدة ، ولم نبتعد إلا خطوات عندما ارتفع هتاف (حامد) من خلفنا :

ـ انتظرا .. سأغلق السيارة وآتى معكما !

وبرغم أن الجو لم يكن مناسبًا أبدًا ، إلا أن ابتسامة تسللت إلى وجهى ..

ابتسامة لها ألف معنى لا أقل !

★ ★ ★

عندما علت صرخة (غريب) من حجرته مجددا ، هتف (عبده) :

ـ هذا كثير .. سأحضر له طبيبًا فى الحال ..

اعترض (زيكو) طريقه إلى باب الشقة ، فنظر (عبده) إلى ملامحه المغبَّة هاتفًا :

ـ .. حالته تتدهور يا (زيكو) .. لو مات ستكون كارثة أخرى تحط فوق رأسينا معًا..

ظل (زيكو) واقفًا فى طريقه دون أن ينطق ، فتنهد (عبده) وقال :

ـ .. حسن .. لا لزوم لطبيب .. على الأقل أحضر له أى مهدئ من الصيدلية القريبة ..

أبرز له (زيكو) من جيبه قطعة من (السلوفان) فثار (عبده) فى وجهه :

ـ .. أجننت أنت الآخر ؟! أتريد منى أن أعطيه مخدرات وهو على هذه الحالة التى يرثى لها ؟! أفق يا (زيكو) ؛ دعنى أحس بأنى أتعامل مع إنسان يفكر ويتكلم مثلى ..

وقبل أن يقول المزيد ، وقبل أن يفعل (زيكو) المزيد ، انفتح باب غرفة (غريب) وبرز الأخير من خلفه متدثرًا بملاءة السرير ، وهاتفًا فى خيلاء :

ـ الشر يتجسد فى كيانى .. والفرعون يهاب رؤية وجهى الأحمر .. انهار المعبد ، وفر الجبناء ، والرعاة قادمون .. الرعاة قادمون ..

صاح به (عبده) وقد طاش صوابه :

ـ ماذا دهاك يا (غريب) ؟! لقد جننت حقًّا يا صاح ..

ثم صوب (عبده) نظراته إلى التمثال الذى مازال قائمًا فى منتصف الصالة ، وخيل إليه أن عينيه تشعان بضوء له لون الدم ..

فأضمر فى نفسه شيئًا ..

★ ★ ★

فى الصحراء هِمنا على وجوهنا ..

(سيف) فى المقدمة ، ثم أنا ، ثم (حامد) الذى كاد يتلاشى لفرط ضآلته أمام اكتساح الريح وتحت اشتداد الغيث ..

كنا نحارب ما لا قبل لنا بمحاربته ، سرنا طويلاً نحو الاتجاه المطلوب ، ومع الوقت فقدنا الاتجاه وصرنا نسير فقط ، وفى النهاية فقدنا حتى القدرة على السير ..

ـ لا أستطيع .. أحتاج لقسط من الراحة ..

قالها (سيف) وهو يترك نفسه ليسقط فوق الرمال ، فجلست أنا بدورى على مقربة منه وأنا أتنفس بصعوبة وأراه بصعوبة وأقول بصعوبة :

ـ لا مانع !

هوى (حامد) بدوره فوق الرمال ، وقال مهونًا الأمر على نفسه أولاً :

ـ هانت .. لم يبق إلا القليل ..

ويبدو أنه قد حلت الثرثرة فى ناظريه الآن :

ـ .. لكنى حتى الآن لا أعرف سر سؤالكما إياى عن الجبل العظيم !

ـ من يتحدث عن الجبل العظيم هاهنا ؟!

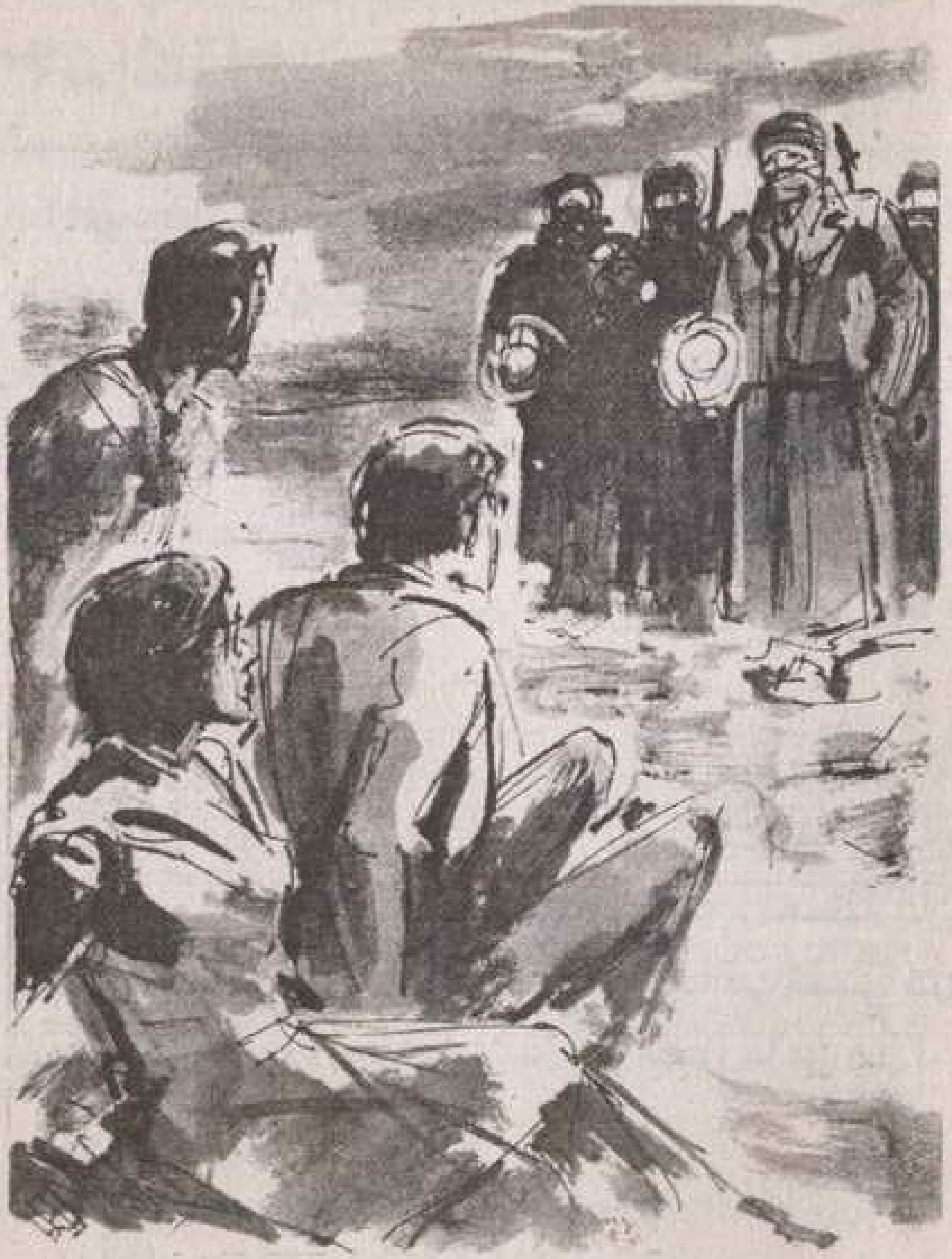

ظهروا فجأة مسلطين علينا الأضواء من كشافات صغيرة فى أياديهم ..

من اللامكان ظهروا ، رهط من الرجال المرتدين جلابيب ومعاطف ، وجوههم ملثمة وعيونهم الضيقة حمراء مغبرة ، خلف ظهورهم البنادق ، وفى أيديهم خطوم الأباعير التى يجرونها خلفهم فى العاصفة ..

ظهروا فجأة مسلطين علينا الأضواء من كشافات صغيرة فى أياديهم ، ويبدو أنهم قد سمعوا الجزء الأخير من ثرثرة (حامد) التى لم تبدأ بعد ..

و لم يكن الأمر يحتاج لكثير من الذكاء حتى نعلم أنهم هم سكان (الجبل العظيم) المزعوم ..

العفاريت ، أو ..

المطاريد !

★ ★ ★

٧ـ المفتاح ..

العيون الضيقة تحدق فينا كأننا من عالم آخر ، والسمرة الجنوبية من حولها تزين عظام الصدغ البارزة ، والوجوه مازالت مختفية خلف اللثُم المُحكمة ، ولا يبقى إلا موسيقى الرباب (*) فى الخلفية حتى يكتمل المشهد العجيب ..

الوحل يكسونى من قمة رأسى حتى أخمص قدمى ، ويكسو أيضًا (سيف) الذى يجاهد حتى يبقى واقفًا ويقظًا ، أما (حامد) فقد ذاب رعبًا منذ زمن بعيد ..

لم أتصور أبدًا أن أتواجد فى مكان كهذا ، فى وقت كهذا ، فى ظروف كهذه ، حتى لو أقسم لى أحدهم بأغلظ الأيمان بأن هذا سيحدث يومًا ، كنت سأتهمه بالعته وأنصحه بأن يتعالج ، فصحيح أنى مجنونة لكنى أكتشف فى نفسى كل يوم مساحات جديدة من الجنون لم أكن أتصورها من قبل ..

أين أنا الآن ؟!

(*) آلة موسيقية شعبية ذات وتر واحد .

مغارة فى بطن جبل صعدنا إليها فوق الجمال البطيئة التى يقودها الرجال الأشداء برغم ضآلة الأجساد ، تفاهم معهم (حامد) وأخبرهم أننا جئنا من (الأقصر) على سبيل السياحة لكنهم ظلوا يرمقوننا فى شك ، وأمرونا بالصعود إلى الجمال فامتثلنا ، بل لعلنا كنا راغبين أكثر منهم فى ذلك ، فهم قد جبلتهم طبيعة المكان على تحمل الشدائد ، أما نحن سكان المدينة فقد قضت حياة الدعة والسكون والرفاهية على مناعتنا وقدرتنا على التحمل ..

كم مضى من الوقت ؟!

الكثير ، سرنا فى رحاب الطبيعة الثائرة طويلاً ، صعدنا مرتفعات واجتزنا منخفضات ، كل ما حرصت عليه هو الإمساك بالحقيبة التى تحوى الرأس الذهبية فى قوة والحرص على ألا تسقط منى أبدًا ، حتى لو كلفنى ذلك البقاء مستيقظة برغم النعاس الذى يدق رأسى بألف مطرقة ثقيلة ..

هل كانت الرياح والأمطار تشتد كأنها تريد منعنا من الوصول إلى غايتنا ؟!

تفكير غريب يليق بـ (عوليس) العائد من حرب (طروادة)، لا بـ (نسرين الجبالى) المسكينة التى تمضى فى طريق لاتعرف نهايته، كأنها مدفوعة بقوة قدرية لاتعرف كنهها برغم استجابتها العمياء لها (ماذا ينقصنى إذن لأصبح بطلة إغريقية ؟!).

المهم أننا وصلنا فى النهاية، دلفت الجمال إلى شق صخرى مختف وراء صخرة جبلية ضخمة، وسارت قليلاً فى ممر متسع على ضوء الكشافات الصغيرة، ثم أناخها الرجال فى بقعة معينة، وأمرونا بالهبوط والسير من خلفهم ..

جررت قدمى خلفهم جرًا داخل الممر الطويل الصخرى الجدران، الذى تنام الوطاويط آمنة فى أعلاه، وعلى ضوء الكشافات رأيت حية تتلوى بين الشقوق الضيقة، وعقرباء يسير الهوينى على الأرض الترابية، وعن الشباك العنكبوتية فحدث ولا حرج ..

الريح تشتد فى الخارج وصفيرها يصبح متصلاً، والأمطار تكاد تحول اليابس إلى بحر كبير، ورجع الصدى يجعل لخطواتنا المنهكة وقعًا مرعبًا، وأنا أتشبث أكثر بحقيبتى وأختلس نظرات جانبية إلى (سيف) الذى يسير بالقصور الذاتى، و(حامد) الذى تلاشى تقريبًا، والرجال الذين يعرفون وجهتهم بلا ريب ..

انتهى الممر إلى كهف واسع تنيره أضواء شاحبة منبعثة من مصابيح زيتية قديمة، تلك الأضواء التى جعلت لنا ظلالا طويلة ارتمت على صخور الجدران، ووقفت أنا أراقب المكان بفيه مفغور ..

هنا إذن يعيش المطاريد الهاربون من قبضة القانون ..

عشرات منهم، يقرفصون فى أماكن متناثرة، يدخنون السجائر والنارجيلة ويلعبون الورق ويحاولون الاستماع إلى جهاز راديو صغير فى حجم الكف، منهم النائم والساهم ومن نظر إلينا نظرات جعلتنى أنكمش على نفسى وأنا أحتضن حقيبتى ..

الوجوه كالحة، والعيون متورمة، والشوارب كثيفة، والجلابيب متسخة، ورائحة الطهى والنشادر الممتزجة بالتبغ والبخور تملأ أنفى وتصيبنى بزكام مؤقت، وبعض الملابس معلقة حتى تجف على حبل ممتد بين جدار وجدار، وفرائص ترتعد ..

التفت إلينا أحد الرجال الذين صحبونا إلى هنا، وأماط اللثام عن وجهه ـ الذى لم يختلف كثيرًا عن الوجوه المحيطة بنا ـ وقال شيئًا مالم أتبين كنهه، ثم تركنا هو ورجاله واختفوا خلف جدار صخرى قريب ..

ملت نحو رفيقىَ أسألهما :

ـ ماذا قال ؟!

رد (حامد) الذى اصطكت أسنانه :

ـ ذهب ليعلم كبيرهم عنا !

عدت أسأل :

ـ وماذا ينوون أن يفعلوا بنا ؟!

ابتلع (حامد) ريقه بصوت مسموع ـ فعرفت أنه قد مات رعبًا ـ وقال :

ـ المطاريد لايتركون زوارهم أحياء أبدًا ..

بشرك الله بالخير يا أسطى !

ـ لنتماسك حتى نرى ما سنفعله ..

قالها (سيف) فى محاولة بائسة ليبث فينا الأمل ، فلم يكن يعلم أننى قد فقدت قدرتى على الشعور بشىء غير الإرهاق القاتل ..

والخوف المميت ..

ولم تمض دقيقة أخرى حتى برز من خلف الجدار القريب رجل ضخم الجثة ، يلتهم وجهه شارب ضخم مدبب الطرفين ، يرتدى جلبابًا نظيفًا أزرق اللون وعمامة ملفوفة فوق رأسه بعناية ، ومن هيبته والتفاف الرجال حوله يمكنك الاستنتاج بسهولة أنه الكبير ..

ـ من أنتم ؟!

هتف بها فى وجوهنا وقد وقف أمامنا كمارد عملاق ، وقبل أن نرد أردف سائلاً بلهجته الجنوبية ونبرته الغليظة :

ـ .. وماذا كنتم تفعلون بالقرب من هنا فى هذا الجو ؟!

تبادلنا النظرات ، كان مفهومًا بالقطع أننا لن ننجح بسهولة فى إقناعه بالغرض الحقيقى من تواجدنا بالقرب منهم ، فكيف يمكن أن نروى لكبير المطاريد قصة اللعنة التى بعثت من مرقدها والتى جئنا لنحاربها ونقضى عليها بوسيلة ما زلنا نجهلها ؟!

لكنى مع هذا تطوعت بسرد ما حدث فى عجالة ، وختمت بقولى :

ـ .. هذا ما حدث يا سيدى ، المسألة لاتتجاوز كونها اهتمامًا أثريًا بموقع حفريات قديم !

ضيق الكبير عينيه ، وسألنى فى ريب :

- تريدين القول إنكم تبحثون عن الآثار فى هذا الجو ، وهذا الوقت المتأخر من الليل ؟!

هنا تدخل (سيف) وقال :

- ليس بالضبط ياسيدى ، لسنا نبحث عن الآثار ، وإنما عن موقع حفريات قديم ..

حدق فيه الكبير طويلا قبل أن يصيح فيه :

- أنا لا أفهم ما تقول !

أنقذتنى قريحتى التى تفتقت عن حل مبتكر ، فانحنيت على حقيبتى وأخرجت منها رأس التمثال الذهبى ، ورفعته أمام عينى الكبير ورجاله قائلة :

- إننا نبحث عن المكان الذى وجدوا فيه هذا الشىء ياسيدى ..

ران الصمت للحظة مع التحديق فى التمثال ، ثم اندلعت الهمهمات بين الرجال كالنار فى الحطب ، ومال أحدهم يهمس بشىء فى أذن الكبير ، الذى هز رأسه متفهمًا ، ودفع الهامس جانبًا فى قوة ؛ قبل أن يقول لنا عاقدًا ساعديه أمام صدره العريض :

- هل تقصدون تلك المغارة التى أغلقتها الحكومة منذ سنين طويلة ؟!

هتف (سيف) كأنه غريق وجد طوق نجاة :

- أجل ، هى بعينها .. هل يمكن أن تساعدنا فى الذهاب إليها ؟!

هتف فيه الكبير :

- لكنى لا أعرفكم ، أليس من الممكن أن تكونوا منهم ؟!

سألته :

- ممن ؟!

فأجاب :

- الحكومة !

قال (سيف) فى صبر (أيوب) :

- اسمعنى أيها الكبير .. نحن هنا من أجل منع مصيبة قد تحل بنا جميعًا ، مصيبة لا يعلم حجمها ولا كنهها إلا الله وحده .. الكثيرون ماتوا والكثيرون سوف يموتون إذا لم تدلنا على مكان المغارة ، أنت الوحيد الذى يمكنه أن يساعدنا حتى نحافظ على حيوات هؤلاء المهددين بالموت .. فهل ستفعل ؟!

لم يبد على وجه الكبير سيماء الاقتناع ، لكنه مع هذا قال فى النهاية :

ـ حديثك زين يا ولد ..

ومال ينادى على رجاله واحدًا واحدًا ، آمرًا إياهم بالاستعداد لمصاحبتنا ، فى حين تنفست الصعداء أخيرًا ، ونظرت إلى عينى (حورس) نظرة طويلة ، قبل أن أعيده إلى داخل الحقيبة من جديد ..

★ ★ ★

ـ هذه هى المغارة ..

صاح بها الكبير وهو يشير إلى المدخل الجبلى المغلق ببعض الألواح الخشبية فوق تل مرتفع عن الأرض بأمتار كثيرة ، وكانت الرياح تصفعنا والأمطار تؤدبنا والليل يسخر منا والنجوم غائبة عنا ..

تعاون الرجال على رفع الألواح الخشبية العتيقة المتآكلة ـ بفعل عوامل التعرية ـ من أمام المدخل ؛ ليتسنى لنا العبور من خلاله ، ولم يستغرق هذا الأمر وقتًا طويلاً ..

ـ انتهيتم يا رجال ؟!

سأل الكبير زاعقًا وأتاه الجواب من رجاله بالإيجاب ، فالتفت إلينا مواصلا زعيقه :

ـ .. تفضلوا يا (بهوات) ..

اقتربنا فى بطء يشوبه الحذر المتردد ، تتقدمنا كشافات الرجال الصغيرة ..

لم يستطع الضوء الضعيف أن يبدد الظلام الكثيف الذى يغرق المدخل ، لكننا واصلنا التقدم حتى أصبحنا على الأعتاب ، وانكشفت درجات حجرية تقود إلى الأسفل حيث الظلام والمجهول والرعب ..

هتف (حامد) مرتعدًا وهو يشير إلى الأسفل :

ـ هل سنهبط إلى هناك ؟!

قال (سيف) وهو يتناول منى حقيبة سرنا المشترك الذى لم يعد سرًا :

ـ بالطبع سنهبط ..

عاد يهتف كفأر مذعور مصاب بالبلل :

ـ كلاً ، لن أهبط .. سأنتظر هنا ..

تقدمنا الكبير صائحًا فى شجاعة تليق بكونه كبيرًا :

- انتظرونى هنا يا رجال .. هيا بنا يا (بهوات) ..

وسرنا خلفه - أنا و(سيف) فقط - على الدرجات الهابطة إلى الأسفل ..

حيث الظلام والمجهول والرعب !

★ ★ ★

لم يقابلنا فى الطريق لأسفل إلا الصمت والظلام والحشرات والخواء ، ثم ذلك الحائط الحجرى الذى أفضت إليه الدرجات ..

توقفنا نرمقه ، وتقدم (سيف) وحده آخذًا الكشاف من يد الكبير ، وأداره فى أنحاء الحائط أعلى وأسفل ويسارًا ويمينًا ..

- هناك علامات تبين أنهم حاولوا تحطيمه بالفئوس والمعاول ، دون جدوى .. انظروا هنا وهنا وهنا و..

سألت أنا وقد اكتشفت جهلى بكل شىء :

- من هؤلاء الذين حاولوا ؟!

أجاب الكبير :

- الحكومة !

سألت متعجبة :

- كيف عثروا على البرديات والرأس والتماثيل إذن ؟!

قال (سيف) والضوء يمسح أنحاء الجدران مجددًا :

- هذه قصة شهيرة تمت فى بدايات القرن الماضى .. أتت البعثة الأثرية إلى هنا واكتشفت معبدًا لـ (حورس) فى بطن هذا الجبل ، بدءوا يجمعون الآثار والمقتنيات عندما ضغط أحد العمال على حجر متحرك فى أحد الجدران بطريق الخطأ ، فبدأ الجدار فى الانغلاق عليهم ببطء ، نجحوا جميعًا فى الخروج وتخليص بعض القطع - منها رأس (حورس) هذا - والبرديات ، لكن الجدار انغلق فى النهاية حاجزًا خلفه المعبد نفسه ، تمت بعدها محاولات كثيرة لتحطيم هذا الجدار على امتداد القرن دون جدوى !

انعقد حاجباى وأنا أقول مستنكرة :

- ونحن الذين سننجح فيما فشلوا هم فيه ؟!

قال وهو يواصل نقل الضوء من بقعة إلى أخرى :

- ولِمَ لا ؟!

هتفت فيه مغتاظة :

- لماذا تركتنا نأتى إلى هنا مادمت تعرف أن وجودنا سيكون بلاجدوى ؟! لماذا لم تخبرنى بهذه القصة من قبل ؟!

قال بمنتهى البرود :

ـ لكل شىء وقته يا آنسة (نسرين) !

قلت وأنا أراقب الحائط الصلد على بقع الضوء الشحيح :

ـ هذا الجدار يحتاج لمتفجرات تنسفه ..

قال والضوء فوق الجدار يتحرك :

ـ حاولوا هذا بالفعل ، لكن المتفجرات لم تنجح .. جدار بهذا السُمك يحتاج لكمية من المتفجرات تكفى لنسف الجبل كله !

زفرت فى حنق مهول ، وأدرت ظهرى إليه قائلة :

ـ لنعد أدراجنا إذن ..

ـ (نسرين) ..

أتانى هتافه من ورائى مفعمًا بالحماسة ، فاستدرت إليه ..

ـ .. انظرى ..

اقتربت منه لأرى ما يعنى : شق طولى فى أسفل الجدار لا يبدو وجوده مجرد صدفة ..

ـ ماذا يعنى هذا ؟!

سألته مقطبة وعقلى يحاول الوصول إلى ما يرمى إليه ، ووجدته يهتف بى :

ـ أخرجى رأس (حورس) من الحقيبة ..

سارعت أنفذ طلبه ، وناولته الرأس فترك الكشاف جانبًا على صخرة واطئة بحيث ينير له موضع الشق ، ولمس بيديه الريشتين الطويلتين ، ثم بروية وحرص شديد أدخل الريشتين فى موضع الشق ، كأنه يدخل مفتاحًا فى ثقب باب مطابق !

فهمت ما عناه فاتسعت عيناى ذهولاً ، واتسعتا أكثر عندما رأيته يدير الرأس ربع دائرة كما لو كان يدير مفتاحًا ، وكادتا تقفزان من محجريهما عندما صدرت تلك التكة الحجرية الغليظة وبدأ الباب ينفتح بمجرد أن أخرج (سيف) الريشتين من الشق !

ـ رباه ..

ندت عنى مع شهقة مكتومة ، فى حين هتف الكبير وقد جمده الذهول مثلى :

ـ أبااااى ! لقد انفتح أخيرًا ..

نهض (سيف) باسمًا فى ظفر ، ومسح جبهته بساعده ، لكنه لم يستطع منع نفسه من التجمد ذهولاً ـ مثلنا ـ أمام ما يرى ..

★ ★ ★

٨ ـ فى الوقت المناسب ..

الضوء الأبيض ينبعث من اللامكان ، الجدران حبلى بالنقوش الهيروغليفية الملونة فى إتقان ، تماثيل (حورس) متناثرة هنا وهناك ، وفى النهاية عرش ذهبى تعلو ظهره الزخارف التى تخلب اللب وتسحر العين ..

تقدمنا مأخوذين ، فرد طائر الصمت جناحيه فوق المكان ، وحطت أسراب الدهشة فوق رءوسنا ..

لن يمكنك أن تعرف لذة الاكتشاف الأول ، الخطوة البكر ، إلا عندما تجربها بنفسك ، هذا إذن شعور (كولومبوس) وهو يضع قدمه للمرة الأولى على الأرض الجديدة بعد عبور المحيط ، ولعله يطابق شعور (كارتر) عندما دلف بمشعله للمرة الأولى إلى مقبرة الملك الصغير ..

أردت أن أنطق بأى شىء ، لكن لسانى انعقد ، لم أستطع هذه المرة أن أسمو فوق الأحداث وأراقب من نظرة الطائر ما يحدث ، لكنى أستطيع الجزم بأن (سيف) كان يتنفس بصعوبة ، وأن الكبير نفسه بدا مثل (أليس) عندما وجدت نفسها فى بلاد العجائب للمرة الأولى !

تمالكت نفسى بعد زمن طال ، واستطعت أن أنطق بـ :

ـ يا له من إعجاز !

و نظرت إلى (سيف) فرأيته يقرأ الرموز من فوق جدار قريب ، مغمغمًا بما استطعت سماعه بصعوبة :

ـ « حماية لكينونتك من المتطفلين .. حميناك يا (حورس) بجدار من الصخر المتين .. سيدوس الحمقى على الأحجار الخطأ .. ويموتون فى معبدك قربانًا لك !! »

قلت مخاطبة الكبير :

ـ حذار من أن تلمس أى شىء يا سيدى !

رفع يديه الكبيرتين هاتفًا :

ـ لم ألمس شيئًا ..

ابتسمت لسلوكه الطفولى المتناقض مع هيئته ، وعدت أرهف السمع لتمتمات (سيف) :

ـ « سيعود الملك إلى عرشه مستردًا الحق السليب .. ومعيدًا كفتى الميزان إلى التعادل .. فتستقيم الأمور .. ويهلك (ست) فى أتون شره المستطير .. »

أشرت إلى العرش فى نهاية القاعة الصغيرة وأنا أقول :

ـ ها هو ذا العرش !

و كأنه لم يسمعنى تابع :

ـ « الطريق إلى الفردوس مفروش بالدم والتضحيات .. لن يسود الأبيض إلا على أنقاض تل من السواد .. ولن يهدأ الشر إلا عندما يقضى على قربان روح خيّرة ! »

سألت وقلبى يخفق فى وجل :

ـ ما معنى هذا ؟!

أكمل قراءته :

ـ « طوبى لمن ضحى بنفسه فى سبيل سعادة الغير .. »

عدت أسأل :

ـ ما معنى هذا ؟!

اعتدل مواجهًا إياى ، وهو ما يزال ممسكًا الرأس الذهبية بين يديه ، ولعلى لم أنتبه للتشابه بين ملامح وجهه والتمثال إلا الآن فقط !

ابتسم فى شحوب ، ودون أن ينطق اتجه نحو مقعد العرش فى خطوات رتيبة ..

ـ كلاً .. انتظر ..

لم يلق لهتافى بالاً ، وواصل السير الهوينى ، فى حين بدا أن الكبير لا يفهم أى شىء مما يدور حوله ..

ـ .. انتظر يا (سيف) ، هناك وسيلة أخرى حتمًا ..

واصل المسير دون أن يلتفت إلى ، وكدت أعدو نحوه لأمنعه بالقوة مما انتوى فعله ، لكنه سبقنى بالوقوف أمام المقعد ، وبنفس البسمة الشاحبة وضع الرأس الذهبية على قمة ظهر العرش ..

و ...

★ ★ ★

كان (غريب) يضحك فى هستريا ويبكى من المعاناة فى الوقت نفسه ..

العرق يلتهم ملامحه ، والحمرة تغزو وجهه ، والنمش يكسو جلده فى غير مكان ..

وكان (عبده) يمسك بفأسٍ ، ويعدو نحو التمثال القائم فى منتصف الصالة ، صارخًا فى قوة وبغض ، بعد أن فشلت كل محاولات (زيكو) فى منعه واعتراض طريقه ..

ارتمى (زيكو) فوق الأريكة مغمضًا عينيه فى ألم، بينما رفع (عبده) الفأس عاليًا إلى أقصى ما يستطيع، ثم انهال به على رأس التمثال الذى خيل إليه أن عينيه تشعان بضوء له لون الدم..

لكن الفأس لم يصطدم بالرأس البازلتية، فقد صدرت شرارة كهربية متقطعة من طرفه، ووجد (عبده) نفسه يطير ليرتطم ظهره بالحائط، بينما أمسكت الشرارة بطرف السجادة التى تغطى أرضية الصالة..

واشتعلت النيران فى المنزل..

★ ★ ★

فور أن لامس رأس (حورس) موضعه على ظهر العرش، أضاءت العينان السوداوان بضوء قرمزى داكن، وتحول ضوء المكان من الأبيض إلى البنفسجى، وتصاعد فجأة عمودان من البرق من الريشتين أعلى الرأس إلى قمة السقف..

أعمى البرق بصرى فأغلقت عينى بحركة لا إرادية، ولابد أن الكبير أيضًا قد حذا حذوى، أما (سيف) فـ...

★ ★ ★

لن نتركك أيها الشر لتعيث فى العالم فسادًا وفوضى..

لن يتركك (حورس)..

سيطاردك حتى بطن الجبل الأعظم..

وهناك..

تكون الموقعة..

★ ★ ★

عند المغارة القديمة ثارت الرمال فجأة، وعلا صياح الرجال الذين حاولوا التماسك، بينما طار (حامد) بالفعل وقد اقتلعه تيار هوائى عنيف من وقفته بين الرجال، وضاعت صيحته فى الهواء..

وفجأة صاح أحد الرجال:

- انظروا..

نظروا إلى حيث أشار، فرأوا عمودين من البرق يخترقان الجبل العظيم، أو الأعظم، ويصلان إلى السماء البعيدة بنور باهر عصى على التحديق فيه..

امتزج عمودا البرق ببروق السماء وهزيم الرعد حتى كاد يصم الآذان ، وخيل للرجال أن اللونين الأحمر والأبيض يتصارعان فى قلب السماء السوداء ..

وفجأة ، هدأ كلِ شىء ..

سكنت الرمال ، واعتدلت الريح ، وجفت ينابيع السماء ..

وتبادل الرجال النظرات المتسائلة ، بينما علا صياح (حامد) المتألم ..

★ ★ ★

عندما فتحت عينى لم أجد (سيف) !

كان الرأس مستكينًا فوق العرش ، والكبير يجول عينيه الحائرتين فى كل الأنحاء بحثًا عن الثالث الذى كان معنا هاهنا ، لكنه مثلى لم يجد له أثرًا !

تبادلنا النظرات ، وفى اللحظة التى كان فيها الجدار يعود للانغلاق ، كنت أحمل رأس التمثال بين يدى وأعبر من خلاله أمام الكبير ، مانعة دموعى من الانهمار بمنتهى الصعوبة ..

★ ★ ★

أوصلنى المطاريد حتى أقرب منطقة لقرية (الكوم الأحمر) يستطيعون السير فيها بحرية ، وقد تعاطفوا مع مظهرى الرث وكونى فتاة وحيدة بينهم لأقصى حد ، وهناك أخذت سيارة حتى البر الغربى لـ (الأقصر) ، وعبرت إلى الجهة الشرقية لأنطلق بعدها إلى المطار رأسًا ..

فوجئت الموظفة بفرع (مصر للطيران) بمومياء مشعثة الشعر يكسوها الطين ويغزو الاحمرار بياض عينيها تقول لها :

- أريد مقعدًا على طائرة (القاهرة) القادمة من فضلك ..

قالت الموظفة وهى تقاوم شعورها بالغثيان :

- طائرة الليل أقلعت منذ نصف ساعة فقط ..

نظرت إلى الساعة الجدارية خلفها فوجدتها تشير إلى ما بعد منتصف الليل بنصف ساعة ، إنه حظى العاثر دائمًا !

- متى تقلع الطائرة القادمة ؟!

- فى السابعة صباحًا ..

- ألا يوجد موعد قبل هذا ؟!

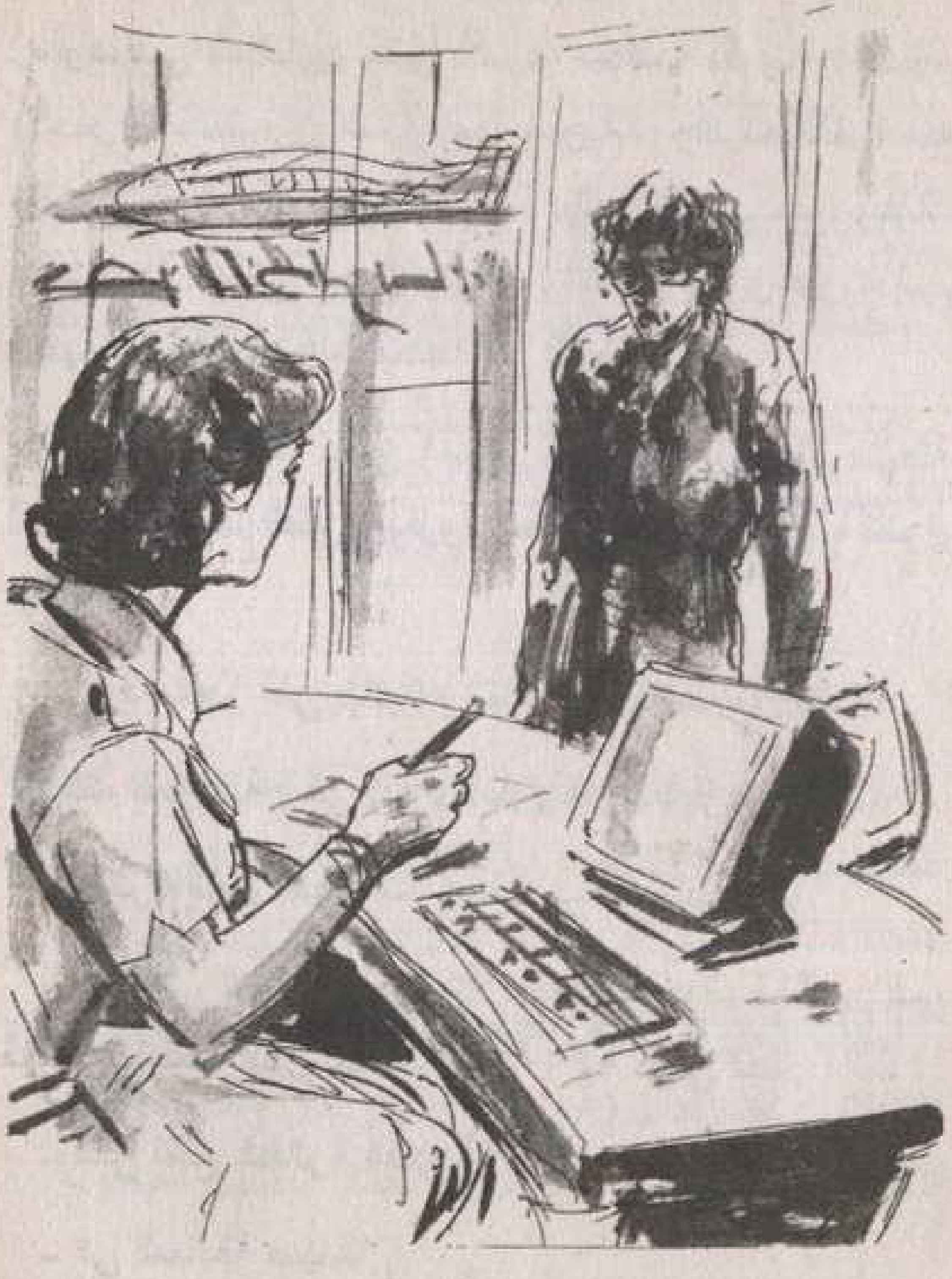

فوجئت الموظفة بفرع (مصر للطيران) بمومياء مشعثة الشعر يكسوها الطين ويغزو الاحمرار بياض عينيها ..

ـ كلاً ، هذه أول طائرة قادمة ..

ـ أعطنى مقعدًا عليها إذن ..

المتحف يفتح أبوابه فى الثامنة صباحًا ، والرحلة تستغرق ساعة إلا الربع تقريبًا ، هناك احتمال لا بأس به ألا تقبض الشرطة على إذا حدثت المعجزة ووصلت فى الوقت المناسب ..

★ ★ ★

أضواء سيارات المطافئ الحمراء ، وأبواق سيارات الشرطة التى تسد مداخل ومخارج الحارة الضيقة ، والجماهير متحلقون حول المنزل القديم الآيل للسقوط الذى نشب فيه الحريق منذ قليل ..

الرائد (هشام القاضى) يعبر بجوار الـ (بيجو) البيضاء الرابضة أمام مدخل البناية نحو سيارته الزرقاء ، ويمسك بجهاز الاتصال اللاسلكى قائلا فيه :

ـ أجل يا سيدى .. أنا الرائد (هشام) .. الوضع تحت السيطرة الكاملة .. تم إطفاء الحريق ، ووجدنا التمثال الضائع ، وقبضنا على (غريب أبو الروس) وشريكيه ، سيدلون باعتراف تفصيلى الليلة إن شاء الله ..

★ ★ ★

أشارت ساعة الأستاذ (بهاء) إلى تمام الثامنة ، عندما دلف الموظف الرث الهيئة الذى يدعى (عفيفى) غرفة مكتبه قائلا :

- لم يأت أحد بعد يا سيدى ..

قال الأستاذ (بهاء) وقلبه يكاد يتوقف :

- أعرف ، أراقب مدخل المتحف من نافذتى منذ ساعة تقريبًا !

سأله (عفيفى) :

- ألن نفتح الأبواب للموظفين الآن يا سيدى ؟!

تنهد الأستاذ (بهاء) ، ونظر عبر النافذة إلى ميدان (التحرير) الذى لم يزدحم بعد ، ثم إلى بوابة المتحف التى بدأ الزوار والموظفون يتوافدون أمامها ، وقال مغالبًا شعوره بالقلق :

- سنتأخر قليلا اليوم ..

- ربما أثار هذا الشكوك يا سيدى ..

- قل لهم أى شىء .. ابتكر أى كذبة .. عشر دقائق لن تقلب نظام الكون !

- سأفعل يا سيدى .. بإذنك ..

تركه (عفيفى) ، وعاد الأستاذ (بهاء) ينظر عبر النافذة ، سائلاً نفسه : أى حماقة هذه التى ارتكبها بالأمس ؟!

★ ★ ★

دسست نفسى فى سيارة الأجرة ، وصحت :

- المتحف المصرى يا أسطى ..

نظر السائق إلى هيئتى فى المرآة العاكسة الكبيرة ، واستعاذ بالله فى سره من شياطين الإنس والجن ، وسار ..

ترى هل أفعلها وأصل فى الموعد ؟!

إنها الثامنة الآن !

- سأدفع لك مئة جنيه لو أوصلتنى إلى هناك فى أقل من عشر دقائق !

★ ★ ★

- مضت الدقائق العشر يا سيدى ..

زفر الأستاذ (بهاء)، ونظر إلى الطوابير المتراصة فى حديقة المتحف بالأسفل، ثم هز رأسه وقال:

- افتحوا الأبواب الآن ..

- كما تأمر يا سيدى ..

ذهب (عفيفى) لينفذ الأمر، فى حين رفع الأستاذ (بهاء) سماعة تليفونه وضغط الأرقام الثلاثة المتتابعة، و ...

- آلو .. شرطة النجدة .. نعم يا سيدى .. إننى ...

وبتر عبارته بغتة عندما لمح عبر نافذته سيارة الأجرة التى وقفت أمام بوابة المتحف، والتى هبطت منها مومياء مشعثة الشعر يكسوها الطين حاملة حقيبة مألوفة ..

قفز من مقعده، وهتف فى السماعة:

- عذرًا يا سيدى الفاضل .. يبدو أننى قد طلبت رقمًا خاطئًا!

ثم وضعها على الفور فى مكانها، وهرع مغادرًا غرفته كقطار سريع ..

★ ★ ★

- دقيقة أخرى وكانت الشرطة ستستقبلك عوضًا عنى ..

قالها الأستاذ (بهاء) وهو يضع رأس التمثال فى مكانها خلف زجاج العرض، ولم أستطع أن أرد، فقد فوجئت بمظهرى - الذى يناسب شحاذة فى مولد أو طفلة شوارع - وصدمت مما فعلته بنفسى منذ الأمس!

ثم إن الأستاذ (بهاء) اطمأن لوضع التمثال فى مكانه، فالتفت نحوى سائلاً:

- .. بالمناسبة، أين زميلك الباحث التاريخى؟!

صمتت، وعدت أجاهد لمنع دموعى من الانهمار!

★ ★ ★

٩ ـ مغامرة بدون السيد (س) ..

عندما رفعت السيدة (ألفت) عينيها نحوى ، من خلف عويناتها المستطيلة الدقيقة المخصصة للقراءة ، رافعة الوريقات التى تمسك بها إلى حيث تدخل فى مجال رؤيتى ، أدركت من خلال الانفعال المرتسم على وجهها أن الموضوع سوف يهبط إلى المطبعة على الفور ..

ـ هل حقًا تكبدت كل هذا العناء يا (نسرين) ؟!

ـ كل سطر خططته حقيقى مئة بالمئة يا سيدتى ..

قالت السيدة (ألفت) وقد شاب لهجتها بعض الامتعاض :

ـ برغم أن خيط السيد (س) مفقود فى تحقيقك هذا ، ربما لأول مرة !

هززت كتفى وقلت :

ـ أخبرتك يا سيدتى أنه لاحيلة لى حيال ظهوره أو اختفائه ..

ـ كان سيعطى مذاقًا أفضل للأحداث ..

ـ ربما فى مغامرة قادمة ..

سألتنى وهى تشير إلى سطر ما فى الأوراق :

ـ هل ترين فى اكتشاف المواد الكيميائية الغريبة ـ التى هى مزيج من المهلوسات والجراثيم المجهولة ـ ملتصقة بسطح تمثال (ست) تفسيرًا مقنعًا لكل ما حدث ؟!

أجبتها بأمانة :

ـ جزئيًا يا سيدتى ليس إلا ..

ـ ليكن ، لقد جذبنى التحقيق حتى السطر الأخير ، لذا أراه جديرًا ...

ووقعت على قمة الصفحة الأولى بقلمها الأحمر ، متابعة :

ـ .. بالنشر .. مبروك يا فتاة ..

ابتسمت وأنا أقول فى حبور :

ـ لا أدرى كيف يمكن أن أشكرك يا سيدتى ..

قالت وعلى شفتيها ترتسم بسمة أمومية جميلة :

ـ بالمزيد من هذه التحقيقات الجيدة ..

ـ أعدك بأن أبذل أقصى جهدى ..

ـ سأعمل على أن تصرف لك الجريدة بدل سفر وانتقال بالإضافة إلى مكافأة النشر ..

- هذا كثير يا سيدتى ..

- أنا أقدر العمل الناجح ، والعامل الكفء ..

نهضت وأنا أقول ، والدنيا لا تكاد تسعنى من فرط السعادة :

- سأبحث عن موضوع التحقيق الجديد من الآن ..

قالت وهى تلوح بسبابتها باسمة :

- إياك أن تتخابثى وتدخرى مغامرات السيد (س) للسلسلة البوليسية التى اقترحتها مسبقًا ..

- لو كتبتها كسلسلة روايات فسأنشرها مسلسلة فى جريدتك يا سيدتى ..

وغادرت غرفتها بينما رفعت هى سماعة الهاتف لتطلب سكرتير التحرير حتى يدفع بعملى بالتحقيق للتصحيح اللغوى ثم الجمع والطبع والنشر ..

الجو صحو فى الخارج بعد أيام من الزوابع والسيول ، سأذهب إلى الكلية بعد انقطاع لايليق بطالبة مجتهدة تطمح فى تقدير مناسب هذا العام ..

- آنسة (نسرين الجبالى) ؟!

نظرت إلى الواقف أمامى بملامحه الغريبة ومعطفه الطويل والحقيبة الجلدية السوداء التى يحملها ، فهربت من صدرى شهقة ، واتسعت عينى فى ذهول عارم ..

- من ؟! (سيف الدين هلال) ؟!

تنحنح فى حرج ، وقال :

- أنا هو يا آنستى ، تشرفت بمعرفتك !

لكن .. ما هذه القسمات الرسمية التى علت وجهه وهو يمد نحوى يد المصافحة ، كأننا لم نخض غمار مغامرة قاتلة معًا بالأمس ؟!

- أين ذهبت عندما كنا فى المغارة ؟!

سألته وأنا أصافحه ، مانعة الدموع إياها من الانهمار بجهد جهيد ، فعقد حاجبيه مستغربًا وتساءل :

- أى مغارة يا آنسة ؟! إننى ...

كلاً يا (سيف) ، لاتقل إنك ..

- .. متابع جيد لتحقيقاتك فى الجريدة .. و ..

- .. إنك لست أنت ..

ـ .. عندما أخبرونى فى الجامعة أنك قد سألتِ عنى بالأمس قررت أن ..

ـ .. إنما أنت هو ..

ـ .. آتى إلى هنا لأقابلك ، فهو ..

ـ أو هو الذى كان أنت !!

ـ .. لعمرى شرف عظيم ..

(س) ..

(سيف) ..

يا إلهى ..

لقد كان هو ، لقد أمضيت معه يومًا كاملاً بالأمس ، و ...

سحبت يدى التى تصافح (سيف) الحقيقى ، وتركته واقفًا فى حيرة ، مهرولة نحو غرفة السيدة (ألفت همام) قبل أن تدفع بالتحقيق ـ الخالى من السيد (س) ـ إلى المطبعة ..

نعم يا سيدة (ألفت) ، لقد عثرت على خيط السيد (س) المفقود فى هذه المغامرة !

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

فى كل رواية متعة دائمة !!

محمد سليمان عبد المالك

مغامرات "س"

اللعنة

الجزء الثانى

عنوان مخيف جدًا ، مغامرات خاصة جدًا ، أجواء عجيبة جدًا ، لغة مجهولة جدًا ، رحلة قصيرة جدًا ، أسرار مجهولة جدًا ، شجاعة نادرة جدًا ، تاريخ قديم جدًا ، دوافع غريبة جدًا ، تحقيق صحفى جدًا ، تفسيرات مقنعة جدًا ، شخصية غامضة جدًا ، ولعنة شريرة جدًا !!!

مطابع سلاح التلميذ

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٣٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس ٦٣٧٠٠٢٠

الثمن فى مصر ٣٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

٢٠٠٢/١٢/٣٠